أمّ القرى

في مدح خير الورى

(القصيدة الهمزية)



لناظمها الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد
ابن حماد البوصيري

(608 - 696هـ)

تحقيق وتعليق
الشيخ محمد الشاذلي النيفر

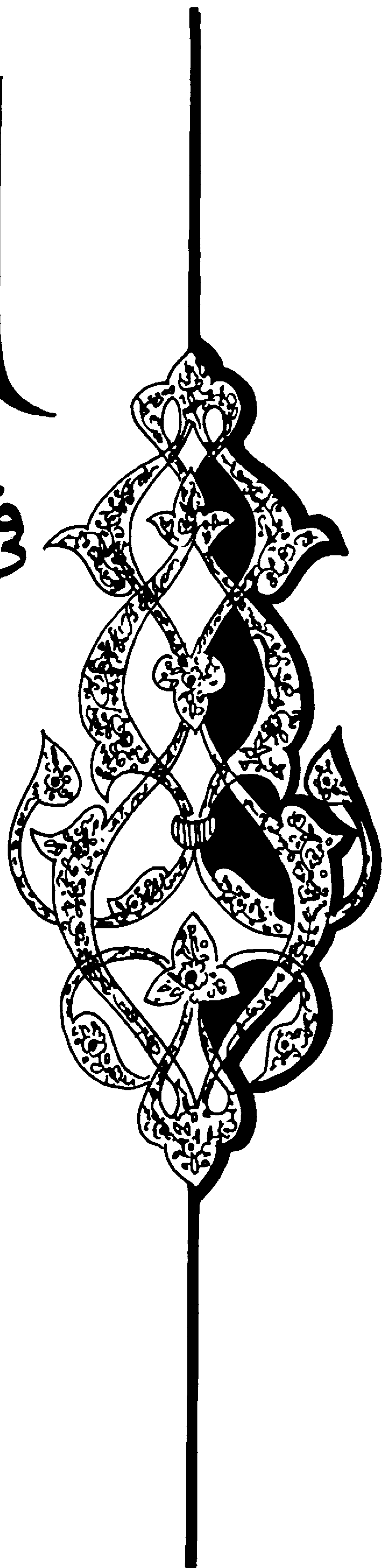
أمُّ القُرَى

في مدح خير الورى

(القصيدة الهمزية)

لناظمها الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد
ابن حمّاد البوصيري

(608 - 696 هـ)



تحقيق وتعليق

الشيخ محمد الشاذلي النيفر

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(أ)

العلم البوصيري

يعد البوصيري من أعلام الإسلام فقد اجتهد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقتصر على المدح إذ تولى رد شبهات اليهود والنصارى، ودحض دعاويهم الكاذبة بانكار النص على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل وجابههم بالحقائق الناصعة الدالة على البعثة النبوية ختام الرسالات.

ولا ينكر أحد أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب غرس الايمان في النفوس كما أشار إليه الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار)

رواهُ أحمد والبخاري ومُسلم، والترمذي والنسائي ، وابن ماجه، يعدّ هذا الحديث من الأحاديث التي هي من دعائم الإيمان فقد بيّن أنّ المرء لا يتلذذ بالطاعة ويبذل جهده في رضا الله ورسوله إلاّ بمحبّة الله تعالى ومحبّة رَسُول الله صلى الله عليه وسلّم ومع الأمرين الآخرين .

وأشار إلى مدخلية محبّة الله تعالى ومحبّة رسُول الله صلّى الله عَليه وسلّم في الإيمان الإمامان الجليلان البخاري ومسلم حيث ذكر كلّ منهما هذا الحديث في كتاب الإيمان .

وعن أنس رضي الله عنه أنّ النبيء صلّى الله عليه وسلّم قال : « لا يُؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والنّاس أجمعين »، رواه أحمد، والبخاري، ومُسلم والترمذي، والنسائي وابن ماجه قال القاضي عياض : (من محبّته نصرة سنّته، والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه وبهذا يتبيّن أنّ حقيقة الإيمان لا تتمّ إلاّ به ولا يصحّ الإيمان إلاّ بتحقيق إنافة قدر النبيء صلّى الله عليه وسلّم ومنزلته على كلّ والد وولد، ومحسن ومتفضل ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن).

ولتحقيق هذا المعنى في النفوس وإيثار محبته صلى الله عليه وسلم على كل محبة حبّر الإمام البوصيري قصائده الرائعة، وقد منحه الله قوة بيان، وقدرة شعرية فائقة فاستطاع أن ينسج برودا شعرية فاق فيها الكثير ممن نظم في مدح صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

وقد نوه بالإمام البوصيري الكثير وعدوه إمام المديح النبوي وخصوا همزيته بالثناء، فقد وصفها شارحها العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي: (ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الألفاظ الجزلة المباني العجيبة الأوضاع البديعة المعاني، العديمة النظير، البديعة التحرير إذ لم ينسج أحد على منوالها، ولا وصل إلى حسنها وكمالها حتى الإمام البرهان القيراطي - (781) فإنه مع جلالته وتضلعه ... أراد أن يحاكيها ففاته الشنب، وانقطعت به الحيل عن أن يبلغ من معارضتها أدنى أرب. وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها، وبراعة صنعها ...)

انفردت الهمزية عن بقية المدائح النبوية الأخرى انفرادا ممتازا فهي تبرز من السيرة النبوية وجها يتضمن من أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم ما يدعو إلى معرفته بحسب طاقتنا لا بحسب ما منحه الله من كمالات وجميل صفات ما عجز عن إدراكه البشر، في قالب بديع

من حيث الإبراز في اللفظ البليغ، والمعنى الفائق، ممّا يجول بالنّفس في جو يدعو إلى محبّته صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّم التي هي من كمال الإيمان، بل أس الإيمان كما صرّح به الحديثان المتقدمان حبانا الله حبه والعَمَل الصّادق في خدمة نبيّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّم.

من حياة البوصيري :

أبُوعبدالله محمّد بن سعيد الصِّنْهاجِي البُوصيري المصري شرف الدّين ولد سنة (608).

يعد الإمام البُوصيري حسنة من حَسَنات أبي العبّاس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي (686) الواصل إلى الله والموصل إليه.

وممن وصل على يديه الإمام البوصيري فإنّه بعد أن اشتغل بالوظيف سلك طريق القوم بإمامة شيخه أبي العبّاس، والشّيخ أبُو العبّاس أخذ عن الولي الشّهير أبي الحسن الشّاذلي الحسني وهو عن الشّيخ الولي الصّالح عبد السّلام بن مشيش وكان الشّيخ ابن عطاء الله رفيقاً له في السّلوك على يد أبي العبّاس المرسي.

وكان سلوكه الصوفي من طريق المحبّة النّبويّة فتمثّلت في ذاته تلك المحبّة النّبويّة وأراد تحقيقها في النّفوس فنظم قصائد عدّة في المدح النّبوي، وكلّ قصيدة من هذه القصائد ذات طابع خاصّ.

ومن أشهر هذه القصائد قصيدة البردة ذات البركة العميمة، وقد اعتنى الناس بها شرقا وغربا. وقصيدته الهمزية القصيدة العصماء، وهي ذات امتيان كما قدمنا. وقد اعتنى بها المعتنون شرحا ومحاكاة.

فمن شروحها شرح الإمام أحمد بن محمد الهيتمي الشهير بابن حجر (974) وهو شرح جليل طرق فيه بحوثا محررة فائقة، وحلل القصيدة تحليلا شافيا، كشف فيه عن معانيها العجيبة مع فوائد جمة.

وقد اعتُنِيَ بهذا الشرح فكتب عليه الشيخ محمد الحفني حاشية، واختصره الشيخ سليمان الجمل، واشتهر هذا الشرح أيما اشتهار، وأقبل عليه المطالعون كما كتب على الهمزية من أهل المغرب الشيخ محمد بن أحمد بنيس شرحا حافلا.

وقد انتفعت بهذه التحريرات في تعليقي هذا على الهمزية. وما ذكرته من أشهر شروحها الكثيرة العديدة، ولكل شارح مميزاته العديدة.

وللبوصيري قصيدة أخرى، وهي التي فند فيها أكاذيب اليهود والنصارى، وسماها (المخرج والمردود على النصارى واليهود) ناقشهم فيها مناقشة عارف بكتبهم،

وردّ عليهم ردّ دارس للتوراة والإنجيل ، مطلعها .

جاء المسيح من الإله رسولا
فأبى أقل العالمين قبولا

وعلّق عليها ناظمها تعليقاً أشار فيه إلى ما استخرجه من التوراة والإنجيل، فهو قد ذبّ عن الجانب النبوي الشريف ذبّ محبّ صادق عالم بالأديان، وعارف بتحريف اليهود والنصارى .

وله غير ذلك من القصائد الرائعة التي حواها ديوانه الحافل البديع .

وفاته :

ذكر المقريزي أنّه توفي سنة ستّ أو سبع وتسعين وستمائة ، لكن الحافظ ابن حجر صوّب أنّه توفي سنة أربع وتسعين وستمائة . رحمه الله رحمة واسعة وجازاه خير الجزاء على مدحه النبوي البليغ الفائق الرائق .

أنظر فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ج 3 ص 362) والوافي بالوفيات للصفدي (ج 3 ص 155)

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلاته وسلامه على أشرف المرسلين وآله وصحبه

سمو المقام النبوي

1 كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ ٱلْأَنْبِيَاءُ ... يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
2 لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلَاكَ وَقَدْ حَا ... لَ سَنًا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ
3 إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّا ... سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَاءُ
4 أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْـ ... ـدُرُ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ
5 لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْـ ... ـبِ وَمِنْهَا لِآدَمَ الْأَسْمَاءُ

نسبه وميلاده

6 لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُخْتَا ... رُ لَكَ الْأُمَّهَاتُ وَالْآبَاءُ
7 مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسْلِ إِلَّا ... بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ

---

1 - كيف: استفهام مراد به النفي، أي لا ترقى رقيك الأنبياء ويا سَمَاء: أي يا مرتبة ما طاولتها ما غالبتها سماء الأنبياء.
2 - أي لم يساوه في شرفه الأنبياء لما منعهم من اللحاق به، سنا وسناء وهما الضوء والرفعة.
3 - ومعنى هذا البيت ان الواصفين لضبط صفاتك مثلهم في وصفهم كتمثيل الماء للنجوم.
4 - ومعنى البيت: أنت كالمصباح في الكمالات، ومنه تستمد.
5 - يفيد هذا البيت أن آدم عَلِمَ الأسماء وأنت علمت الأسماء والمسميات.
6 - فكما طابت ذاته طاب نسبه.
7 - أشار في هذا البيت إلى تبشير الأنبياء ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم

8 تَتَبَاهَى بِكَ ٱلْعُصُورُ وَتَسْمُو بِكَ عَلْيَاءُ بَعْدَهَا عَلْيَاءُ
9 وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كُرَمَاءُ
10 نَسَبٌ تَحْسِبُ ٱلْعُلَا بِحِلَاهُ قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا ٱلْجَوْزَاءُ
11 حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدَدٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ ٱلْيَتِيمَةُ ٱلْعَصْمَاءُ
12 وَمُحَيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيءٌ أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ
13 لَيْلَةُ ٱلْمَوْلِدِ ٱلَّذِي كَانَ لِلدِّيـنِ سُرُورٌ بِيَوْمِهِ وَٱزْدِهَاءُ
14 وَتَوَالَتْ بُشْرَى ٱلْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ وُلِدَ ٱلْمُصْطَفَى وَحَقَّ ٱلْهَنَاءُ
15 وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَوْلَا آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى ٱلْبِنَاءُ
16 وَغَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وَفِيهِ كُرْبَةٌ مِنْ خُمُودِهَا وَبَلَاءُ
17 وَعُيُونٌ لِلْفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَا نَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ
18 مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ ٱلْكُفْـرِ وَبَالٌ عَلَيْهِمُ وَوَبَاءُ

---

8 تنباهى بك العصور: تفتخر.
9 وبدا للوجود منك كريم: ظهر للوجود منك بوجودك كريم سالم من النقص، والكرم متسلسل فيه من أبويه ومن فوقهما.
10 فنسبه كامل فمن تأمل فيه حسبه كالنجوم التي قلدتها الجوزاء حلاها.
11 معناه: نسبه صلى الله عليه وسلم كالقلادة من الجواهر وهو واسطتها.
12 ومحيًّا معطوف على عقد، أي حبذا محيًّا مثل الشمس أسفرت عنه ليلة المولد الغراء.
13 فليلة المولد ليلة شرفت بميلاده فكان للدين سرور بيومه وافتخار.
14 أفاد انه تتابعت البشارة من الهواتف بميلاده، والهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه
15 ومن آيات ميلاده إشراف إيوان كسرى على السقوط وسقوط أربع عشرة شرافة.
16 ومن آيات الميلاد خمود نار بيوت الفرس التي كانوا يعبدونها.
17 ومن عجائب ميلاده صلى الله عليه وسلم أن عيون الماء غارت.
18 ومنها أن هذا المولود دلّ على وبال الكفر.

19 فَهَنِيئًا بِهِ لِآمِنَةَ ٱلْفَضْـ ـلُ ٱلَّذِي شُرِّفَتْ بِهِ حَوَّاءُ
20 مَنْ لِحَوَّاءَ أَنَّهَا حَمَلَتْ أَحْمَدَ أَوْ أَنَّهَا بِهِ نُفَسَاءُ
21 يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ٱبْنَةُ وَهْبٍ مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ ٱلنِّسَاءُ
22 وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ ٱلْعَذْرَاءُ
23 شَمَّتَتْهُ ٱلْأَمْلَاكُ إِذْ وَضَعَتْهُ وَشَفَتْنَا بِقَوْلِهَا ٱلشِّفَاءُ
24 رَافِعًا رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ ٱلرَّفْـ ـعِ إِلَى كُلِّ سُؤْدَدٍ إِيمَاءُ
25 رَامِقًا طَرْفُهُ ٱلسَّمَاءَ وَمَرْمَى عَيْنِ مَنْ شَأْنُهُ ٱلْعُلُوُّ ٱلْعَلَاءُ
26 وَتَدَلَّتْ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ إِلَيْهِ فَأَضَاءَتْ بِضَوْئِهَا ٱلْأَرْجَاءُ
27 وَتَرَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ بِٱلرُّو مِ يَرَاهَا مَنْ دَارُهُ ٱلْبَطْحَاءُ

رضاع وعجائب

28 وَبَدَتْ فِي رَضَاعِهِ مُعْجِزَاتٌ لَيْسَ فِيهَا عَنِ ٱلْعُيُونِ خَفَاءُ

---

19 ثمّ هنأ أمّه بالفضل الذي حصل لها وثبت، وهي آمنة بنت وهب .
20 ثمّ ان حوّاء وان اشتركت مع آمنة في الشرف فآمنة أشرف .
21 وقد نالت آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بسبب الميلاد ما لم تنله النّساء
22 وأتت آمنة قومها بأفضل ممّا ولدته مريم وهو عيسى عليه السّلام
23 شمتته الملائكة : قالت له رحمك الله، والشّفاء قابلته، وهي أم عبد الرّحمن ابن عوف أحد المبشرين بالجنّة . وقولها ما أخرجه أبو نعيم وخلاصته إرهاصات ميلاده.
24 أفاد أنّ رفع النّبيء رأسه حين الولادة إشارة إلى رفعته وسيادته .
25 وفي وضعه وبصره ناظر إلى السّماء إشارة إلى أنّه لا يقصد إلاّ أعلى المراتب .
26 وحين وضعه تدلت ودنت النّجوم المضيئة فأضاءت بضوئها نواحي السّماء.
27 ومن آيات ميلاده أنّ قصور قيصر رئيت فرآها من داره بمكّة .
28 ابتدأ من هنا في ذكر عجائب رضاعه ومعجزاته فأفاد أنّه ظهرت برضاعه
29 معجزات لا تخفى، والمعجزة هي الأمر الخارق للعاده، ويسمّى ما قبل
30 البعثة : إرهاصا ، وبعدها : معجزة .

29 إِذْ أَبَتْهُ لِيُتْمِهِ مُرْضِعَاتٌ قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا غَنَاءُ
30 فَأَتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَعَاءُ
31 أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا وَبَنِيهَا أَلْبَانَهُنَّ الشَّاءُ
32 أَصْبَحَتْ شُوَّلاً عِجَافًا وَأَمْسَتْ مَا بِهَا شَائِلٌ وَلَا عَجْفَاءُ
33 أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحْلٍ إِذْ غَدَا لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ
34 يَا لَهَا مِنَّةً لَقَدْ ضُوعِفَ الْأَجْرُ عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ
35 وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَٰهُ أُنَاسًا لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ
36 حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعَفَاءُ
37 وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبُرَحَاءُ
38 إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ فَظَنَّتْ بِأَنَّهُمْ قُرَنَاءُ
39 وَرَأَى وَجْدَهَا بِهِ وَمِنَ الْوَجْدِ لَهِيبٌ تَصْلَى بِهِ الْأَحْشَاءُ
40 فَارَقَتْهُ كُرْهًا وَكَانَ لَدَيْهَا ثَاوِيًا لَا يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

= وقد أبته المرضعات ليتمه، والغناء النفع، وإنما نشأ يتيما لئلا يكون في عنقه حق، وبعد أن تركته المرضعات جاءته من آل سعد فتاة هي حليمة السعدية وأرضعته.
31 ومن كرامة هذا المولود أن حليمة بعدما كانت في جدب سقتها الشاء وهي جمع شاة
32 ومن كرامته أيضًا أن الشاء كانت لا لبن لها وهي عجاف أي هزيلة فلما أمست ليس فيها شائل ولا عجفاء، فتبدل الحال.
33 الخصب ضد الجدب. ومن كرامته أن العيش أخصب بعد الجدب عند حليمة، وخصوبة العيش كثرة القوت، والمَحْلُ: شدة الجدب وانقطاع المطر.
34 قد تعجب من منة حليمة بالارضاع دون أجر فجزاها الله بالخصب بعد المحل
35 وإذا وفق الله أناسًا لخدمة سعيد فإنهم بسبب ذلك سعداء.
36 وشبه الناظم ما حصل لها من الخير مع أن ما قدمته قليل بالحبة المبذورة التي تضاعف انتاجها والعصف الورق اليابس.
37 وحين أرجعته لجده كان وجدها لفراقه التألم الكثير وهو البُرَحاء.
38 وأرجعته لجده حين خافت عليه عند ما أتته الملائكة الذين شقوا صدره.
39 ورأى جده عبد المطلب شدة وجدها ومحبتها له فرده لها وهذا في المرة الأولى.
40 وحين ردته حليمة المرة الثانية خوفا عليه من الجن لما شق صدره لم يرجعه إليها جده ففارقته كرها.

41 شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ   مُضْغَةٌ عِنْدَ غَسْلِهِ سَوْدَاءُ

42 خَتَمَتْهُ يُمْنَى الأَمِينِ وَقَدْ أُو   دِعَ مَا لَمْ تُذَعْ لَهُ أَنْبَاءُ

43 صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامُ فَلَا الْفَضُّ   مُلِمٌّ بِهِ وَلَا الْإِفْضَاءُ

نشأته في حال طفولته وما بعدها

44 أَلِفَ النُّسْكَ وَالْعِبَادَةَ وَالْخَلْ   وَةَ طِفْلًا وَهَكَذَا النُّجَبَاءُ

45 وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْبًا   نَشِطَتْ فِي الْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ

حجب الشياطين عند دنو البعثة

46 بَعَثَ اللَّهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهْبَ   حِرَاسًا وَضَاقَ عَنْهَا الْفَضَاءُ

47 تَطْرُدُ الْجِنَّ عَنْ مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ   كَمَا تَطْرُدُ الذِّئَابَ الرِّعَاءُ

48 فَمَحَتْ آيَةَ الْكَهَانَةِ آيَا   تٌ مِنَ الْوَحْيِ مَا لَهُنَّ امِّحَاءُ

---

41 لما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شقّ صدره وإخراج مضغة سوداء منه. والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ.

42 ثمّ بعد شقّ صدره لأمَتْهُ وأعادته يمنى الأمين أي جبريل وأودع فيه ما لم يحظ به أخبار.

43 حفظ أسرار قلبه المودع فيه الختام الواقع من جبريل فلا يناله الكسر ولا الإشاعة.

44 وقد أثر شقّ قلبه فألف العبادة والخلوة وهكذا النّجباء.

45 وإنّما كان هذا شأن النّجباء لأنّ الهداية إذا حلّت القلب نشطت الأعضاء.

46 لما دنا مبعثه حجبت الشّياطين عن السّمع وحرست السّماء بالشّهب، وهي جمع شهاب، وهو شعلة من النّار تنفصل من الكواكب تحرق الشّيطان.

47 وهذه الشّهب تطرد الجنّ الّذين يجلسون في أمكنة قريبة لاستراق السّمع كما يطرد الرّعاة الذّئاب العادية.

48 وبسبب ذلك محت آيات الوحي الكهانة، وآيات الوحي لا ينالها المحو.

زواجه بخديجة رضي الله عنها

49 وَرَأَتْهُ خَدِيجَةٌ وَالتُّقَى وَالزُّهْـــدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَـــاءُ

50 وَأَتَاهَا أَنَّ الْغَمَامَةَ وَالسَّـــرْ ح أَظَلَّتْهُ مِنْهُمَا أَفْيَـاءُ

51 وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعْدَ رَسُولِ اللَّـــهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْـهُ الْوَفَاءُ

52 فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوَاجِ وَمَا أَحْسَـــنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الْأَذْكِيَاءُ

53 وَأَتَاهُ فِي بَيْتِهَـا جِـبْرَئِيلُ وَلِذِي اللُّبِّ فِي الْأُمُورِ ارْتِيَاءُ

54 فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الْخِمَارَ لِتَدْرِي أَهُوَ الْوَحْيُ؟ أَمْ هُوَ الْإِغْمَاءُ

55 فَاخْتَفَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسَ جِبْـــرِيلُ فَمَا عَادَ أَوْ أُعِيدَ الْغِطَاءُ

56 فَاسْتَبَانَتْ خَدِيجَةٌ أَنَّهُ الْكَنْـــزُ الَّذِي حَاوَلَتْهُ وَالْكِيمِيَاءُ

---

49 أفاد هذا البيت وما بعد زواجه بخديجة رضي الله عنها، وذكر هنا أن الذي دعاها إلى الزواج به ما عرفته من سجاياه الكريمة من التقى والزهد، والحياء، وخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

50 أتى الخبر إلى خديجة أن كرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة: 1) أن الغمامة أظلته، والغمامة هي السحابة. 2) أن السرح وهي الشجر العظام أظلته حين مال إليه الفيء منها حين وصلوا إلى بحيرا.

51 وأتى خديجة أن وقت البعثة قرب.

52 وبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه رغبت في الزواج به، فقد أدركت بزواجها بالنبيء صلى الله عليه وسلم بسبب ذكائها ما تمنته وأملته.

53 ومما يدل على عظم ذكائها أن جبريل لما أتى إلى النبيء صلى الله عليه وسلم أحبت أن تنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين. وعلم اليقين العلم الحاصل من الدليل، وعين اليقين العلم الحاصل بالمشاهدة وصاحب العقل له استبصار

54 وحين جاء جبريل أزاحت عن رأسها الخمار وهو ما يغطى به الرأس لتشاهد وبذلك تتبين أنه وحي لا إغماء.

55 واختفى جبريل عند كشف رأسها ولم يعد إلا بعد تغطية رأسها.

56 وبسبب ما ترتب على ذلك علمت أنه الكنز الذي رغبت فيه.

الجد في نشر الدعوة

57 ثُمَّ قَامَ ٱلنَّبِيءُ يَدْعُو إِلَى ٱللَّـهِ وَفِي ٱلْكُفْرِ نَجْدَةٌ وَإِبَاءُ
58 أُمَمًا أُشْرِبَتْ قُلُوبُهُمُ ٱلْكُفْرَ فَدَاءُ ٱلضَّلَالِ فِيهِمْ عَيَاءُ
59 وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا وَإِذَا ٱلْحَقُّ جَاءَ زَالَ ٱلْمِرَاءُ
60 رَبِّ إِنَّ ٱلْهُدَى هُدَاكَ وَآيَا تُكَ نُورٌ تَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ
61 كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَعْقِلُ قَدْ أُلْهِمَ مَا لَيْسَ يُلْهَمُ ٱلْعُقَلَاءُ
62 إِذْ أَبَى ٱلْفِيلُ مَا أَتَى صَاحِبُ ٱلْفِيلِ وَلَمْ يَنْفَعِ ٱلْحِجَا وَٱلذَّكَاءُ
63 وَٱلْجَمَادَاتُ أَفْصَحَتْ بِٱلَّذِي أُخْرِسَ عَنْهُ لِأَحْمَدَ ٱلْفُصَحَاءُ
64 وَيْحَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضٍ أَلِفَتْهُ ضِبَابُهَا وَٱلظِّبَاءُ

الهجرة

65 وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ ٱلْغُرَبَاءُ

---

57 جد النبيء صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة رغم تحزب الكفرة لما نزل عليه قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ"
58 أممًا ، مفعول يدعو ، وأفاد أن الأمم أي الجماعات التي يدعوها تمكن الكفر فيها فداء الكفر فيهم لا يرجى برؤه .
59 أشار في هذا البيت إلى أمة الاجابة وهم الذين شاهدوا معجزاته فاهتدوا وهم الصحابة ومن بعدهم لأنه إذا جاء الحق زال العناد .
60 الهدى بتوفيق الله تعالى كما أن الضلالة بمشيئته .
61 ويدل على أن الهداية هداية الله أن ما لا يعقل قد ألهم ما ليس يعقله العقلاء
62 وذلك أن الفيل الذي جيء به لهدم الكعبة امتنع ما عزم عليه صاحبه وهو أبرهة .
63 وكذلك حين امتنعت قريش من الايمان أفصح الجماد كالجذع الذي حن إليه صلى الله عليه وسلم
64 أهلك الله القوم الذين جفوا النبيء صلى الله عليه وسلم مع أنه ألفه الضب والغزال وحديثا هما لا أصل لهما.
65 وسلا عنه قومه وحن إليه الجذع الذي يستند إليه حين يخطب وأبغضوه وأحبه الغرباء وهم الأنصار ، الأوس والخزرج الذين لقوه قبل الهجرة بثلاث سنين فتمت العقبات الثلاث .

66 أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَآوَاهُ غَارٌ ... وَحَمَتْهُ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ

67 وَكَفَتْهُ بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ ... مَا كَفَتْهُ الْحَمَامَةُ الْحَصْدَاءُ

68 وَاخْتَفَى مِنْهُمُ عَلَى قُرْبِ مَرْءَا ... هُ وَمِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخَفَاءُ

69 وَنَحَى الْمُصْطَفَى الْمَدِينَةَ وَاشْتَا ... قَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الْأَنْحَاءُ

70 وَتَغَنَّتْ بِمَدْحِهِ الْجِنُّ حَتَّى ... أَطْرَبَ الْإِنْسَ مِنْهُ ذَاكَ الْغِنَاءُ

71 وَاقْتَفَى إِثْرَهُ سُرَاقَةُ فَاسْتَهْـوَتْهُ فِي الْأَرْضِ صَافِنٌ جَرْدَاءُ

72 ثُمَّ نَادَاهُ بَعْدَمَا سِيمَتِ الْخَسْـفَ وَقَدْ يُنْجِدُ الْغَرِيقَ النِّدَاءُ

الإسراء والمعراج

73 فَطَوَى الْأَرْضَ سَائِرًا وَالسَّمَوا ... تُ الْعُلَا فَوْقَهَا لَهُ إِسْرَاءُ

74 فَصِفِ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ لِلْمُخْتَارِ فِيهَا عَلَى الْبُرَاقِ اسْتِوَاءُ

---

66 وحين أذن له صلّى الله عليه وسلّم في الهجرة خرج من مكّة واختفى في غار ثور ومعه أبو بكر، وحين دخل الغار أنبت الله عليه شجرة أم غيلان ووقف في فم الغار حمامتان

67 وكما حمته الحمامتان كذلك حمته العنكبوت بنسيجها والحمامة الحصداء كثيرة الريش.

68 ولم يظفروا به حين اختفائه فكان من شدة الظهور الخفاء لعناية الله به وكان مكثه في الغار ثلاث ليال.

69 قصد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة يوم الاثنين غرّة ربيع الأوّل (13 سبتمبر 622م) ودخل قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأوّل (20 سبتمبر) وكانت مدّة سفره ثمانية أيام.

70 وتغنّت الجن شعراً علم منه أهل بيت أبي بكر المكان المقصود من الهجرة.

71 واتّبع أثره سراقة بن مالك المدلجي وقد أسلم عام الفتح وحين دنا منهما عثرت به فرسه ثمّ قام فركبها فدعا إليه صلّى الله عليه وسلّم فغاصت قوائم فرسه في الأرض

72 وحين خسفت الأرض بفرس سراقة استنجد بالنّبيء صلّى الله عليه وسلّم فدعا له فنجاه الله من الخسف لأنّ الغريق ينجده النّداء.

73 تحدث على الاسراء بعد الهجرة، وهو قبل الهجرة، وقد طويت له صلّى الله عليه وسلّم الأرض والسّموات حين الإسراء والمعراج، والمعاريج عشرة.

74 أمر النّاظر أن يصف ليلة الإسراء والمعراج، والاسراء من مكّة إلى بيت المقدس، والمعراج من بيت المقدس إلى السّماء إلى ما شاء الله، وكان الاسراء والمعراج بالجسم والرّوح.

75 وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ وَتِلْكَ السِّيَادَةُ الْقَعْسَاءُ

76 رُتَبٌ تَسْقُطُ الْأَمَانِيُّ حَسْرَى … دُونَهَا مَا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ

77 ثُمَّ وَافَى يُحَدِّثُ النَّاسَ شُكْرًا … إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ النَّعْمَاءُ

التَّبْلِيغُ وَالدُّعَاءُ إِلَى اللهِ

78 وَتَحَدَّى فَارْتَابَ كُلُّ مُرِيبٍ … أَوَ يَبْقَى مَعَ السُّيُولِ الْغُثَاءُ

79 وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْإِلَهِ وَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ كُفْرٌ بِهِ وَازْدِرَاءُ

80 وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللهِ بِالتَّوْحِيدِ وَهْوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ

81 فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لَانَتْ … صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَّاءُ

82 وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ … بَعْدَ ذَاكَ الْخَضْرَاءُ وَالْغَبْرَاءُ

---

75 وترقى صلى الله عليه وسلم من ربه وشبّه ذلك القرب المعنوي بقاب قوسين والقاب من القوس ما بين محل مسكه باليد عند الرمي وهو وسطه وبين آخره وهو المحل الذي يربط فيه الوتر.

76 ونوّه بهذه الرتب العظيمة الجليلة التي نالته في تلك الليلة ولا تصل لتلك الرتب الأماني.

77 ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما وصل مكة قبل الصبح وحدث الناس بنعمة الله وهي كرامة الاسراء والمعراج وحين كذبوه ظهر صدقه بما أزال كل شيء.

78 وتحدى كفار مكة بالاسراء والمعراج وغيره من معجزاته بما أعجزهم به فانقطعت حجتهم، وكيف يبقى مع السيل الجارف الغثاء وهو ما يحمله السيل من النبات.

79 تحدى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو إلى الله ومتحمل لمشقة الانكار من الكفر والاستهزاء.

80 وهو يدل على توحيد الله تعالى كافة الخلق لأنه مرسل إليهم جميعا وما دعا إليه هو الطريق الواضحة.

81 وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الاباة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

82 وبعد أن لانوا لدعوته صلى الله عليه وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجا استجابت لدعوته الخضراء وهي السماء، والغبراء وهي الأرض أي استجاب له الرفيع والوضيع.

83 وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرْ باءُ وَالْجَاهِلِيَّةُ الْجُهَلَاءُ
84 وَتَوَالَتْ لِلْمُصْطَفَى الْآيَةُ الْكُبْرَى عَلَيْهِمْ وَالْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ
85 وَإِذَا مَا تَلَى كِتَابًا مِنَ اللَّهِ تَلَتْهُ كَتِيبَةٌ خَضْرَاءُ

كفاية الله تعالى له

86 وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَاءَ نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتِهْزَاءُ
87 وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فِنَاءِ الْـ بَيْتِ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءُ
88 خَمْسَةٌ كُلُّهُمْ أُصِيبُوا بِدَاءٍ وَالرَّدَى مِنْ جُنُودِهِ الْأَدْوَاءُ
89 فَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَّلِبٍ أَيُّ عَمًى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ
90 وَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّدَى اسْتِسْقَاءُ
91 وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَدْشَةُ سَهْمٍ قَصَّرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ الرَّقْطَاءُ

---

83 وأطاعت أي استجاب له العرب العرباء وهم الخلص والجاهلية الجهلاء.
84 وتوالت وتتابعت له الآيات الكبرى الدالة على نبوته كالقرآن وانشقاق القمر وتوالت على الأعداء الغارة الشعواء أي المحيط بهم.
85 وإذا تلا صلى الله عليه وسلم القرآن تبعه جيش عظيم.
86 وكفاه ربه تعالى الذين اشتدت إذايتهم له من المستهزئين وهم جماعة من قومه.
87 وأصابهم صلى الله عليه وسلم بدعوته فأهلكتهم حيث دعا عليهم بفناء الكعبة فأفناهم.
88 وخص الناظم خمسة من المستهزئين وإن كانوا أكثر من ذلك مثل أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، فأصابتهم أدواء أي أمراض.
89 ثم شرع في ذكر الأمراض التي أصيبوا بها، فأصاب الأسود بن مطلب بن أسد العمى الذي أهلكه.
90 كما دهى الأسود بن عبد يغوث بن وهب فحصل له استسقاء في جوفه فمات منه.
91 وأصاب الوليد بن المغيرة خدشة سهم فتأكلت رجله فمات، وهذه الخدشة أشد من السم.

92 وَقَضَتْ شَوْكَةٌ عَلَى مُهْجَةِ الْعَا ... صِ فَلِلَّهِ النَّقْعَةُ الشَّوْكَاءُ
93 وَعَلَى الْحَارِثِ الْقُيُوحُ وَقَدْ سَا ... لَ بِهَا رَأْسُهُ وَسَاءَ الْوِعَاءُ
94 خَمْسَةٌ طُهِّرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْ ... ضُ فَكَفُّ الْأَذَى بِهِمْ شَلَّاءُ

نقض الصحيفة

95 فُدِيَتْ خَمْسَةُ الصَّحِيفَةِ بِالْخَمْـ ... ـسَةِ إِنْ كَانَ بِالْكِرَامِ فِدَاءُ
96 فِتْيَةٌ بَيَّتُوا عَلَى فِعْلِ خَيْرٍ ... حَمِدَ الصُّبْحُ أَمْرَهُمْ وَالْمَسَاءُ
97 يَا لَأَمْرٍ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ ... زَمْعَةٌ إِنَّهُ الْفَتَى الْأَتَّاءُ
98 وَزُهَيْرٌ وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ ... وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ مِنْ حَيْثُ شَاءُوا
99 نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شَـ ... ـدَّتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِدَا الْأَنْدَاءُ
100 أَذْكَرَتْنَا بِأَكْلِهَا أَكْلَ مِنْسَا ... ةِ سُلَيْمَانَ الْأَرَضَةُ الْخَرْسَاءُ

---

92 وقضت شوكة على العاص بن وائل دخلت في أخمص رجله فمات بسببها.
93 وقضت على الحارث مولى الطلا طلة القيوح التي سالت من رأسه.
94 فهؤلاء الذين استجيبت الدعوة فيهم طهرت منهم الأرض فكف الأذى شلاء بسبب هلاكهم.
95 سأل الناظم أن يجعل الله سبحانه وتعالى الخمسة الهالكين للخمسة الذين نقضوا الصحيفة فداء. وقصة الصحيفة أن بني هاشم وبني المطلب لما امتنعوا من تسليم النبيء صلى الله عليه وسلم قاطعتهم قريش بكتابة صحيفة في جوف الكعبة، وكان ذلك سنة 7 سبع من البعثة، فأقام المقاطعون سنتين أو ثلاثا حتى اشتد عليهم البلاء، فقام هؤلاء الخمسة ونقضوا الصحيفة، وأشار إلى عزمهم على نقض الصحيفة في البيت التالي.
96 فأخبر أنهم كرام دبروا نقضها، وحين أريد نقضها أكلتها الأرضة أي السوس.
97 يا له من أمر أتاه هشام بن الحارث وبعده زمعة بن الأسود.
98 ذكر في هذا البيت بقية الخمسة وهم زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأبو البختري.
99 فهؤلاء الكرام نقضوا ما أبرم في الصحيفة حين صممت عليه من العداء الأنداء جمع نـاد، وهو العشيرة.
100 أفاد أن لأكل الأرضة الصحيفة نظيرا هو أكلها لمنساة سليمان والمنساة: العصا.

101 وَبِهَا أَخْبَرَ ٱلنَّبِيُّ وَكَمْ أَخْـرَجَ خَبْأً لَهُ ٱلْغُيُوبُ خِبَاءُ

عناية الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم

102 لَا تَخَلْ جَانِبَ ٱلنَّبِيِّ مُضَامًـا حِينَ مَسَّتْهُ مِنْهُمُ ٱلْأَسْوَاءُ

103 كُلُّ أَمْرٍ نَابَ ٱلنَّبِيِّينَ فَالشِّـدَّةُ فِيهِ مَحْمُودَةٌ وَٱلرَّخَاءُ

104 لَوْ يَمَسُّ ٱلنُّضَارَ هُونٌ مِنَ ٱلنَّا رِ لَمَا ٱخْتِيرَ لِلنُّضَارِ ٱلصِّلَاءُ

105 كَمْ يَدٍ عَنْ نَبِيِّهِ كَفَّهَا ٱللَّـهُ وَفِي ٱلْخَلْقِ كَثْرَةٌ وَٱجْتِرَاءُ

106 إِذْ دَعَا وَحْدَهُ ٱلْعِبَادَ وَأَمْسَتْ مِنْهُ فِي كُلِّ مُقْلَةٍ أَقْذَاءُ

107 هَمَّ قَوْمٌ بِقَتْلِهِ فَأَبَى ٱلسَّيْـفُ وَفَاءً وَفَاءَتِ ٱلصَّفْوَاءُ

108 وَأَبُو جَهْلٍ إِذْ رَأَى عُنُقَ ٱلْفَحْـلِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ ٱلْعَنْقَاءُ

---

101 وقد أخبر النبيء صلى الله عليه وسلم أن الأرضة أكلت صحيفة المقاطعة ولم تبق إلّا اسمه تعالى، وكم أخبر النبيء صلى الله عليه وسلم بالمغيبات كظهور نار الحجاز.

102 لا تظن جانب النبيء صلى الله عليه وسلم مضامًا أي مضيعًا حين مسّه الأذى من المشركين.

103 وما أصابه من الشدّة له فيه اسوة بالأنبياء عليهم السلام، لكن كلّ أمر أصاب النبيئين فالشدّة محمودة لأنها ترفع درجاتهم، وكذلك الرخاء.

104 الأنبياء كالذهب الذي لا يمسّه العيب بعرضه على النار فلا يلحقهم هوان بالشدائد التي تنالهم.

105 كم يد أرادت إذايته فكفّها الله عنه وخذلها، وفي الخلق أي المشركين كثرة إقدام.

106 فحين دعا كلّ العباد إلى عبادة الله وترك الجهالات، دعاهم وحده، وبصيرة من يدعوهم في رين كالعين الرمداء.

107 قد هم قوم بقتله صلى الله عليه وسلم فامتنع السيف من ذلك، وكذلك الحجارة لم تصبه. والصفواء الحجارة.

108 وكذلك أبو جهل عمرو بن هشام همّ بقتله فرأى ما هاله فأحجم. والعنقاء طير عظيم.

109 وَاقْتَضَاهُ النَّبِيُّ دَيْنَ الْإِرَا شِيِّ وَقَدْ سَاءَ بَيْعُهُ وَالشِّرَاءُ
110 وَرَأَى الْمُصْطَفَى أَتَاهُ بِمَا لَمْ يُنْجِ مِنْهُ دُونَ الْوَفَاءِ النَّجَاءُ
111 هُوَ مَا قَدْ رَآهُ مِنْ قَبْلُ لَكِنْ مَا عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الْخَطَاءُ
112 وَأَعَدَّتْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ الْفِهْـرَ وَجَاءَتْ كَأَنَّهَا الْوَرْقَاءُ
113 يَوْمَ جَاءَتْ غَضْبَى تَقُولُ أَفِي مِثْلِيَ مِنْ أَحْمَدٍ يُقَالُ الْهِجَاءُ
114 وَتَوَلَّتْ وَمَا رَأَتْهُ وَمِنْ أَيْـنَ تَرَى الشَّمْسَ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ
115 ثُمَّ سَمَّتْ لَهُ الْيَهُودِيَّةُ الشَّـاةَ وَكَمْ سَامَ الشِّقْوَةَ الْأَشْقِيَاءُ
116 فَأَذَاعَ الذِّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَـرٍّ بِنُطْقٍ إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ

من أخلاقه صلى الله عليه وسلم ومحاسن صفاته

117 وَبِخُلْقٍ مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ لَمْ تُقَاصَصْ بِجَرْحِهَا الْعَجْمَاءُ
118 مَنَّ فَضْلًا عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَا نَ لَهُ قَبْلَ ذَاكَ فِيهِمْ رِبَاءُ

---

109 طلب صلى الله عليه وسلم من أبي جهل أن يدفع دين الإراشي الذي باعه إبلا وماطله فلم يسع أبا جهل إلا أن يعطي الإراشي ما يطلبه لما رأى ما هاله وأخافه.

110 وقد علم أبو جهل أنه لا نجاة له إلا أن يؤدي دين الإراشي.

111 رأى أبو جهل في المرتين السابقتين فحلا مهولا ولكنه لم يتعظ فإن خطأه لا ينحصر.

112 وكذلك أم جميل بنت حرب حمالة الحطب أعدت الفهر أي الحجر لتضرب به النبي صلى الله عليه وسلم.

113 أعدت الحجر لتضرب به يوم جاءت غضبى حين نزلت فيها وفي زوجها سورة المسد.

114 لكنها حين جاءت لم تره، وأين ترى العين العمياء الشمس.

115 ثم بعد حفظه مما تقدم سمت له اليهودية الشاة في غزوة خيبر سنة سبع، ولم يخف عليه الأمر كما في البيت الآتي.

116 فأذاع الذراع له بأنه مسموم بنطق لم يسمعه من معه وإنما سمعه هو خاصة.

117 عند الناظم من أخلاقه الكريمة جملة منها الحلم، كهذه اليهودية التي لم يقتلها قصاصا، وهذا على إحدى الروايتين وفي الأخرى أنه اقتص منها.

118 ومن خلقه الكريمة أن من على قبيلة هوازن تفضلا وكرما، وهوازن قبيلة حليمة السعدية حين غزاها بعد فتح مكة سنة ثمان فرفع الرق عن السبي.

119 وَأَتَى ٱلسَّبْيُ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ وَضَعَ ٱلْكُفْرُ قَدْرَهَا وَٱلسِّبَاءُ

120 فَحَبَاهَا بِرًّا تَوَهَّمَتِ ٱلنَّا سُ بِهِ أَنَّمَا ٱلسِّبَاءُ هِدَاءُ

121 بَسَطَ ٱلْمُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِدَاءٍ أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ ٱلرِّدَاءُ

122 فَغَدَتْ فِيهِ وَهْيَ سَيِّدَةُ ٱلنِّسْوَةِ وَٱلسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءُ

123 فَتَنَزَّهْ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ اسْتِمَاعًا إِنْ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءُ

124 وَامْلَإِ ٱلسَّمْعَ مِنْ مَحَاسِنَ يُمْلِيهَا عَلَيْكَ ٱلْإِنْشَادُ وَٱلْإِنْشَاءُ

125 كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأْتَ بِهِ اسْتَوْ عَبَ أَخْبَارَ ٱلْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءُ

126 سَيِّدٌ ضِحْكُهُ ٱلتَّبَسُّمُ وَٱلْمَشْيُ ٱلْهُوَيْنَى وَنَوْمُهُ ٱلْإِغْفَاءُ

127 مَا سِوَى خُلْقِهِ ٱلنَّسِيمُ وَلَا غَيْرَ مُحَيَّاهُ ٱلرَّوْضَةُ ٱلْغَنَّاءُ

128 رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ

---

119 وكان في السبي أخته من الرّضاع فأكرمها كما يأتي :

120 فأعطى برًا بها ما جعل النّاس يتوهّمون أن السبيَ نساءُ عرس.

121 ومن إكرامه لأخته من الرّضاع أنّه بسط لها رداءه لتجلس عليه فهنيئا لها ذلك الإكرام.

122 فصارت به أخته من الرّضاع سيّدة النّساء.

123 لما ذكر ما اختصّ به من كريم الخلال طلب من العقلاء أن يتنزّهوا في سماع صفاته الذاتية وغيرها حيث لم تمكن مشاهدتها بالعين.

124 املإ السّمع من محاسنه التي لا توجد عند غيره حين يمليها إنشاد الشّعر

125 وممّا يحملك على التّنزّه في ذاته ومعانيه أنّك كلّما ابتدأت بوصف له وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع أنواع الفضل واستوعبها.

126 ذكر من شمائله في حسن ذاته أن ضحكه كان تبسما ومشيه بسكينة ووقار، ونومه خفيف، فإنّه تنام عينه ولا ينام قلبه.

127 بعد ما أنهى الكلام على محاسن ذاته الشّريفة شرع في محاسن أخلاقه فذكر أنّ النّسيم الذي به الحياة هو خلقه الكريم كما أنّ وجهه هو الرّوضة الغناء وهي الكثيرة النّبات والأزهار.

128 وكلّه صلى الله عليه وسلم رحمة وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء.

129 لَا تَحُلُّ ٱلْبَأْسَاءُ مِنْهُ عُرَى ٱلصَّبْرِ وَلَا تَسْتَخِفُّهُ ٱلسَّرَّاءُ

130 كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ ٱلسُّو ءُ عَلَى قَلْبِهِ وَلَا ٱلْفَحْشَاءُ

131 عَظُمَتْ نِعْمَةُ ٱلْإِلَهِ عَلَيْهِ فَٱسْتُقِلَّتْ لِذِكْرِهِ ٱلْعُظَمَاءُ

132 جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى وَأَخُو ٱلْحِلْمِ دَأْبُهُ ٱلْإِغْضَاءُ

133 وَسِعَ ٱلْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا فَهْوَ بَحْرٌ لَمْ تُعْيِهِ ٱلْأَعْبَاءُ

134 مُسْتَقِلٌّ دُنْيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ ٱلْإِمْسَاكُ مِنْهَا إِلَيْهِ وَٱلْإِعْطَاءُ

135 شَمْسُ فَضْلٍ تَحَقَّقَ ٱلظَّنُّ فِيهِ أَنَّهُ ٱلشَّمْسُ رِفْعَةً وَٱلضِّيَاءُ

136 فَإِذَا مَا ضَحَا مَحَا نُورُهُ ٱلظِّلَّ وَقَدْ أَثْبَتَ ٱلظِّلَالَ ٱلضَّحَاءُ

137 فَكَأَنَّ ٱلْغَمَامَةَ اسْتَوْدَعَتْهُ مَنْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ ٱلدُّفَفَاءُ

---

129 لا تحل الشدّة أسباب الصبر ويكفيك من صبره أنّ المشركين من قريش يوم أحد وقع منهم ما وقع فحين طلب منه الدعاء عليهم قال: « اللّهمّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون» ولا تخرجه عن ثباته ووقاره السراء.

130 إنّما اتصف بهذه الكمالات لأنّه كرمت نفسه وطهرت من كلّ نقص فلا يخطر السّوء على قلبه ولا الفحشاء.

131 كانت نعمة الله عليه عظيمة، وبسبب ذلك كانت نعمه تعالى على غيره قليلة.

132 أغضى عمن آذاه من قريش وغيرهم رغم شدة إيذائهم له. وهذا الإغضاء دأب حال أخي الحلم فلا ينتقم.

133 وسع صلى الله عليه وسلم جميع العالمين علماً وحلماً فهو بحر في كمال صفاته لم تعيه الأعباء أي الأثقال.

134 ومن أوصافه الكريمة أنّه محتقر للدّنيا إمساكها وإعطائها.

135 وهو شمس فضل فأضواء الفضل كلّها مستمدة منه وقد تحقّق أنّه الشمس والضياء رفعة.

136 وهو أقوى ضياء من الشمس فلذلك إذا ما ضحا أي مشى عقب طلوع الشمس محا نوره الظلّ.

137 كأن الغمامة لما أظلته استودعته من أظلتهم الدّففاء وهم الصحابة وهذا إشارة إلى أن الأمّة في ظلّه.

138 خَفِيَتْ عِنْدَهُ ٱلْفَضَائِلُ وَانْجَا بَتْ بِهِ عَنْ عُقُولِنَا ٱلْأَهْوَاءُ

139 أَمَعَ ٱلصُّبْحِ لِلنُّجُومِ تَجَلٍّ أَمْ مَعَ ٱلشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ؟

140 مُعْجِزُ ٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعَالِ كَرِيمُ ٱلْخَلْـقِ وَٱلْخُلْقِ مُقْسِطٌ مِعْطَاءُ

141 لَا تَقِسْ بِالنَّبِيءِ فِي ٱلْفَضْلِ خَلْقًا فَهُوَ ٱلْبَحْرُ وَٱلْأَنَامُ إِضَاءُ

142 كُلُّ فَضْلٍ فِي ٱلْعَالَمِينَ فَمِنْ فَضْـلِ ٱلنَّبِيءِ اسْتَعَارَهُ ٱلْفُضَلَاءُ

من معجزاتـه

143 شُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وَشُقَّ لَهُ ٱلْبَدْ رُ وَمِنْ شَرْطِ كُلِّ شَرْطٍ جَزَاءُ

144 وَرَمَى بِٱلْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشًا مَا ٱلْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا ٱلْإِلْقَاءُ

145 وَدَعَا لِلْأَنَامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ سَنَةٌ مِنْ مُحُولِهَا شَهْبَاءُ

146 فَاسْتَهَلَّتْ بِالْغَيْثِ سَبْعَةَ أَيَّا مٍ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطْفَاءُ

---

138 وقد خفيت أمام فضائله كلّ الفضائل التي عند غيره وانكشفت بسببه عن عقولنا الأهواء أي الضلالات.

139 استفهم، هل يوجد مع الصّبح للنّجوم اشراق، وهل يبقى الظّلام مع الصّبح؟ فلا كمال مع كماله كذلك لا يبقى الضّلال مع هدايته.

140 قوله معجز وكذا أفعاله وهو كريم في ذاته وأخلاقه وعادل وكثير العطاء.

141 لا تقس أيّ أحد في الفضل بالنبيء صلى الله عليه وسلم فهو البحر والأنام اضاء أي غدران.

142 وكلّ فضل في جميع العالمين إنّما استعاره الفضلاء منه.

143 شرع في معجزاته صلى الله عليه وسلم فذكر منها شقّ صدره كما تقدّم، كما ذكر انشقاق القمر وانشقاقه لجزاء شقّ صدره.

144 ومن معجزاته أنه رمى كفا من الحصى فأهلك جيشا وذلك في غزوة بدر، ولا تقس بهذه المعجزة عصا موسى، ولا إلقاءها على السّحرة.

145 ومن المعجزات أنه دعا حين عم الأنام الجدب فاستهلت الأمطار سبعة

146 أيام.

147 تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ ٱلرَّعْيِ وَٱلسَّقْيِ وَحَيْثُ ٱلْعِطَاشُ تُوهِي ٱلسِّقَاءَ
148 وَأَتَى ٱلنَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا وَرَخَاءٌ يُؤْذِي ٱلْأَنَامَ غَلَاءُ
149 فَدَعَا فَٱنْجَلَى ٱلْغَمَامُ فَقُلْ فِي وَصْفِ غَيْثٍ إِقْلَاعُهُ ٱسْتِسْقَاءُ
150 ثُمَّ أَثْرَى ٱلثَّرَى فَقَرَّتْ عُيُونٌ بِقُرَاهَا وَأُحْيِيَتْ أَحْيَاءُ
151 فَتَرَى ٱلْأَرْضَ غِبَّهُ كَسَمَاءٍ أَشْرَقَتْ مِنْ نُجُومِهَا ٱلظَّلْمَاءُ
152 تُخْجِلُ ٱلدُّرَّ وَٱلْيَوَاقِيتَ مِنْ نَوْرِ رُبَاهَا ٱلْبَيْضَاءُ وَٱلْحَمْرَاءُ

تمني الناظم رؤيته ولقاءه صلى الله عليه وسلم

153 لَيْتَهُ خَصَّنِي بِرُؤْيَةِ وَجْهٍ زَالَ عَنْ كُلِّ مَنْ رَآهُ ٱلشَّقَاءُ
154 مُسْفِرٍ يَلْتَقِي ٱلْكَتِيبَةَ بَسَّامًا إِذَا أَسْهَمَ ٱلْوُجُوهَ ٱللِّقَاءُ
155 جُعِلَتْ مَسْجِدًا لَهُ ٱلْأَرْضُ فَٱهْتَزَّ بِهِ لِلصَّلَاةِ فِيهَا حِرَاءُ
156 مُظْهِرٍ شَجَّةَ ٱلْجَبِينِ عَلَى ٱلْبُرْءِ كَمَا أَظْهَرَ ٱلْهِلَالَ ٱلْبَرَاءُ

---

147 وصف السّحابة بأنها تقصد مواضع الرعي والسقي ومواضع العطاش .
148 ـ 149 ولمّا استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى النّاس اليه صلى الله عليه وسلم أذى المطر فدعا فانجلى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاءً .
150 ـ 151 ثم بعد ذلك الغيث النّافع أثرى الثرى وبسبب هذا فرحت العيون بسبب عمارة القرى، حتى اصبحت الأرض من النبات والازهار كالسّماء بالنجوم .
152 وبسبب كثرة الازهار والأعشاب أخجلت الدّر واليواقيت .
153 شرع من هنا البيت في تمني لقائه صلّى الله عليه وسلّم فتمنّى أن يخصّه برؤية وجهه الكريم الذي يزول على من رآه الشّقاء .
154 ذكر بعض صفات الوجه الكريم من أنّه مشرق وهو يلتقي الجيش مبتسمًا في الوقت الذي تتغيّر فيه الوجوه بسبب اللّقاء .
155 وجعلت لهذا الوجه الكريم الارض مسجدا والأمّة تبع له واهتزّ جبل حراء بهذا الجعل ، وحراء الجبل الذي كان يتعبّد فيه قبل النّبوّة .
156 وجهه الكريم أظهر شجّة جبينه مع برئها فكانت تلك الشجّة غاية في الجمال كالهلال أوّل ليلة .

157 سَتَرَ الْحُسْنُ مِنْهُ بِالْحُسْنِ فَاعْجَبْ لِجَمَالٍ لَهُ الْجَمَالُ وِقَاءُ

158 فَهْوَ كَالزَّهْرِ لَاحَ مِنْ سَجَفِ الْأَكْمَامِ وَالْعُودِ شُقَّ عَنْهُ اللِّحَاءُ

159 كَادَ أَنْ يُغْشِيَ الْعُيُونَ سَنًا مِنْهُ لِسِرٍّ فِيهِ حَكَتْهُ ذُكَاءُ

160 صَانَهُ الْحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أَنْ تُظْهِرَ فِيهِ آثَارَهَا الْبَأْسَاءُ

161 وَتَخَالُ الْوُجُوهَ إِنْ قَابَلَتْهُ أَلْبَسَتْهَا أَلْوَانَهَا الْحِرْبَاءُ

162 فَإِذَا شِمْتَ بِشْرَهُ وَنَدَاهُ أَذْهَلَتْكَ الْأَنْوَارُ وَالْأَنْوَاءُ

163 أَوْ بِتَقْبِيلِ رَاحَةٍ كَانَ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ أَخْذُهَا وَالْعَطَاءُ

164 تَتَّقِي بَأْسَهَا الْمُلُوكُ وَتَحْظَى بِالْغِنَى مِنْ نَوَالِهَا الْفُقَرَاءُ

165 لَا تَسَلْ سَيْلَ جُودِهَا إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ وَكْفِ سُحْبِهَا الْأَنْدَاءُ

166 دَرَّتِ الشَّاةُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا فَلَهَا ثَرْوَةٌ بِهَا وَنَمَاءُ

---

157 وستر الحسن الأصلي بوجهه الكريم بالحسن العارض وهو الشجة .

158 ماظهر من الشجة كالزهر ظهر من الأكمام وهي أغطية النور أو كالعود الذي يتطيب به إذا أزيل عنه قشره .

159 وكاد جمال وجهه بالشجة يغشى العيون وذلك لسر فيه حكته ذكاء وهي الشمس .

160 وصان جمال وجهه في حسنه وسكينته أن تظهر فيه آثارها البأساء .

161 وتخجل الوجوه إذا قابلته فتتلون كما تتلون الحرباء .

162 فإذا شمت أي نظرت طلاقة وجهه وجوده أذهلتك أنوار وجهه وأنواء جوده .

163 لما أنهى تمني رؤية وجهه الكريم وأوصافه تمنى تقبيل راحته التي كان لله أخذها وعطاؤها .

164 وكفه هذه تتقي بأسها الملوك وتحظى أي تفوز بالغنى من نوالها الفقراء .

165 ولا تسأل جود هذه الكف لأنه يكفيك البلل منها لأن فيها الغنى .

166 وقد درت هذه الراحة الكريمة الشاة حين حلبها وذلك حين الهجرة .

١٦٧ نَبعَ ٱلْمَاءُ أَثْمَرَ ٱلنَّخْلُ فِي عَا مٍ بِهَا سَبَّحَتْ بِهَا ٱلْحَصْبَاءُ
١٦٨ أَحْيَتِ ٱلْمُرْمِلِينَ مِنْ مَوْتِ جَهْدٍ أَعْوَزَ ٱلْقَوْمَ فِيهِ زَادٌ وَمَاءُ
١٦٩ فَتَغَدَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ جِيَاعٌ وَتَرَوَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ ظِمَاءُ
١٧٠ وَوَفَى قَدْرُ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ دَيْنَ سَلْمَانَ حِينَ حَانَ ٱلْوَفَاءُ
١٧١ كَانَ يُدْعَى قِنًّا فَأُعْتِقَ لَمَّا أَيْنَعَتْ مِنْ نَخِيلِهِ ٱلْأَقْنَاءُ
١٧٢ أَفَلَا تَعْذِرُونَ سَلْمَانَ لَمَّا أَنْ عَرَتْهُ مِنْ ذِكْرِهِ ٱلْعُرَوَاءُ
١٧٣ وَأَزَالَتْ بِلَمْسِهَا كُلَّ دَاءٍ أَكْبَرَتْهُ أَطِبَّةٌ وَإِسَاءُ
١٧٤ وَعُيُونٌ مَرَّتْ بِهَا وَهْيَ رُمْدٌ فَأَرَتْهَا مَا لَمْ تَرَ ٱلزَّرْقَاءُ

---

١٦٧ وَظهرت من راحته معجزات منها نبع الماء من بين أصابعه وإثمار النخل في عام واحد وبها سبحت الحصباء.

١٦٨ وأحيت هذه الكف المرملين وهم الذين لا زاد لهم في وقت الجدب عندما فقد القوم الزاد والماء.

١٦٩ ومن أوصافها أنها غدّت بصاع واحد ألف جائع، كما أروت الألف الظماء.

١٧٠ أشار إلى أن سلمان الفارسي كان عليه دين مكاتبة وهو أربعون أوقية فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم قدر بيضة من نضار أي الذهب فوفى دينه.

١٧١ وكذلك كاتبه سيده على غرس ثلاثمائة نخلة فغرسها له النبيء صلى الله عليه وسلم فأثمرت من عامها. والأقناء جمع قنو وهو العذق.

١٧٢ ألا تعذرون سلمان لما اعترته العُرَوَاءُ أي الحمّى حين ذكر اليهودي النبيء صلى الله عليه وسلم.

١٧٣ ومن أوصاف راحته صلى الله عليه وسلم أنها أزالت بلمسها كل داء عجزت عند الأطباء وأكبرته الإساء أي الأطباء.

١٧٤ ومن أوصافها أنها برئت بها عيون كانت رمداء فأصبحت ترى أكثر من الزرقاء أي زرقاء اليمامة التي كانت ترى على مسيرة ثلاثة أيام.

175 وَأَعَادَتْ عَلَى قَتَادَةَ عَيْنًا فَهْيَ حَتَّى مَمَاتِهِ النَّجْلَاءُ
176 أَوْ بِلَثْمِ التُّرَابِ مِنْ قَدَمٍ لَا نَتْ حَيَاءً مِنْ مَشْيِهَا الصَّفْوَاءُ
177 مَوْطِئُ الْأَخْمَصِ الَّذِي مِنْهُ لِلْقَلْبِ إِذَا مَضْجَعِي أَقَضَّ وِطَاءُ
178 حَظِيَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ بِمَمْشَا هَا وَلَمْ يَنْسَ حَظَّهُ إِيلِيَاءُ
179 وَرَمَتْ إِذْ رَمَى بِهَا ظُلَمَ اللَّيْلِ إِلَى اللّٰهِ خَوْفُهُ وَالرَّجَاءُ
180 دَمِيَتْ فِي الْوَغَى لِتَكْسِبَ طِيبًا مَا أَرَاقَتْ مِنَ الدَّمِ الشُّهَدَاءُ
181 فَهْيَ قُطْبُ الْمِحْرَابِ وَالْحَرْبِ كَمْ دَا رَتْ عَلَيْهَا فِي طَاعَةٍ أَرْحَاءُ
182 وَأَرَاهُ لَوْ لَمْ يُسَكِّنْ بِهَا قَبْلُ حِرَاءً مَاجَتْ بِهِ الدَّأْمَاءُ

القرآن

183 عَجَبًا لِلْكُفَّارِ زَادُوا ضَلَالًا بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُقُولِ اهْتِدَاءُ

---

175 وأعادت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحدٍ وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر.

176 أي ليته خصني بلثم التراب المنفصل من قدمه الشريفة التي لانت لها الصفواء أي الحجارة الصلدة حياء من مشيها.

177 المعنى أن الناظم لو رقد على تراب مسته قدماه لسرى سرهما إلى قلبه، والأخمص باطن القدم الذي لا يلتصق بالأرض.

178 ومن أوصاف قدمه الشريفة أنه حظي المسجد الحرام بممشى تلك القدم فيه، ولم ينس حظه إيلياء أي بيت المقدس.

179 ومنها: أنها ورمت. بكسر الراء - أي تورمت حين قام بها تهجدا في الليل.

180 وكذلك دميت قدمه في الوغى لتكسب ما أراق الشهداء من الدم طيبا.

181 وهي قطب المحراب والحرب معًا، فهي قطب العبادات والجهاد وكم دارت عليها في طاعة الله أرحاء أي قبائل العرب.

182 اعلم أنه لو لم يسكن بها أي بقدمه من قبل غار حراء لاضطرب الجبل.

183 عجب من الكفار حين زادوا ضلالا مع أنهم جاءهم الذي فيه للعقول اهتداء من المعجزات، ومنها القرآن.

184 وَالَّذِي يَسْأَلُونَ مِنْهُ كِتَابٌ ... مُنْزَلٌ قَدْ أَتَاهُمْ وَارْتِقَاءُ
185 أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذِكْرٌ ... فِيهِ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ وَشِفَاءُ؟
186 أَعْجَزَ الْإِنْسَ آيَةٌ مِنْهُ وَالْجِنَّ ... فَهَلَّا تَأْتِي بِهَا الْبُلَغَاءُ
187 كُلَّ يَوْمٍ تُهْدِي إِلَى سَامِعِيهِ ... مُعْجِزَاتٍ مِنْ لَفْظِهِ الْقُرَّاءُ
188 تَتَحَلَّى بِهِ الْمَسَامِعُ وَالْأَفْوَاهُ فَهْوَ الْحُلِيُّ وَالْحَلْوَاءُ
189 رَقَّ لَفْظًا وَرَاقَ مَعْنًى فَجَاءَتْ ... فِي حُلَاهَا وَحَلْيِهَا الْخَنْسَاءُ
190 وَأَرَتْنَا فِيهِ غَوَامِضَ فَضْلٍ ... رِقَّةٌ مِنْ زُلَالِهَا وَصَفَاءُ
191 إِنَّمَا تُجْتَلَى الْوُجُوهُ إِذَا مَا ... جُلِيَتْ عَنْ مِرْآتِهَا الْأَصْدَاءُ
192 سُوَرٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ صُوَرًا مِنَّا وَمِثْلُ النَّظَائِرِ النُّظَرَاءُ
193 وَالْأَقَاوِيلُ عِنْدَهُمْ كَالتَّمَاثِيلِ فَلَا يُوهِمَنَّكَ الْخُطَبَاءُ

---

184 سألوا من النبيء صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بكتاب تعنتا وعنادا فأتاهم به وحيًا من الله جلّ وعلا.
185 يتعنّتون ولم يكفهم القرآن المعجز الذي فيه للنّاس رحمة وشفاء.
186 شرع يذكر صفات القرآن الذي أعجزت آية منه الإنس والجن فهلّا يأتي بآية البلغاء.
187 ولاشتمال القرآن على ما لا يحصى من العُلُوم والمغيبات وغير ذلك كان في كل وقت تهدي القُرّاءُ إلى السّامعين معجزات من لفظه.
188 تتحلّى بسماعه المسامع والأفواه فهو للمسامع حلي وللأفواه حلواء.
189 قد حسن لفظه وتصفى من شوائب النّقص فحري بأن يشبه بالمرأة الحالية، ولكن القرآن أبلغ من ذلك.
190 وأوضحت آيات القرآن الرّقيقة الحلوة الصّافية غوامض وخفايا من العُلوم والمعارف المستنبطة منه.
191 وآيات القرآن لا تظهر إلّا للعقول السليمة لأنّه لا تجتلى الوُجوه وتظهر إلّا في المرآة الصّافية.
192 تماثل سور القرآن الفضلاء منا.
193 ما تَقَوّلَهُ الكفار في القرآن هو من الأباطيل المزخرفة كزخرفهم للتماثيل.

194 كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ مِنْ عُلُومٍ عَنْ حُرُوفٍ أَبَانَ عَنْهَا الْهِجَاءُ

195 فَهْيَ كَالْحَبِّ وَالنَّوَى أَعْجَبَ الزُّرَّاعَ مِنْهُ سَنَابِلُ وَزَكَاءُ

196 فَأَطَالُوا فِيهِ التَّرَدُّدَ وَالرَّيْبَ فَقَالُوا سِحْرٌ وَقَالُوا افْتِرَاءُ

197 وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فَالْتِمَاسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ

198 وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عِلْمٍ فَمَاذَا تَقُولُهُ النُّصَحَاءُ

ما آل إليه أمر أهل الكتابين

199 قَوْمَ عِيسَى عَامَلْتُمُ قَوْمَ مُوسَى بِالَّذِي عَامَلَتْكُمُ الْحُنَفَاءُ

200 صَدَّقُوا كُتْبَكُمْ وَكَذَّبْتُمْ كُتْبَهُمُ إِنَّ ذَا لَبِئْسَ الْبَوَاءُ

201 لَوْ جَحَدْنَا جُحُودَكُمْ لَاسْتَوَيْنَا أَوَ لِلْحَقِّ بِالضَّلَالِ اسْتِوَاءُ

202 مَا لَكُمْ إِخْوَةَ الْكِتَابِ أُنَاسًا لَيْسَ يُرْعَى لِلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ

---

194 كم أوضحت آيات القرآن من علوم لا غاية تنتمي إليها قال تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ).

195 إنّ حروف القرآن ما يستخرج منها غزير كالحب المبذور

196 والكفّار رغم صفات القرآن الباهرة استمروا على الإعراض والإنكار فقالوا: سحر وافتراء في كتاب الله.

197 وإذا البيّنات والحجج الواضحة لم تفدهم شيئا فطلب الهدى من البينات عناء.

198 وإذا ضلّت العقول على علم فماذا تقوله النّصحاء من الأنبياء والمبلغين.

199 شرع في الكلام على ما آل إليه أمر أهل الكتابين لما جاءهم الإسلام، فقال: يا قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملكم الحنفاء به وهو تصديقكم بالتوراة، كما أنّ أهل الاسلام صدقوا كتابكم وهو الإنجيل.

200 صدق قوم عيسى بالتوراة، وكذّب اليهود بالإنجيل فبئست المكافأة

201 لو جحد المسلمون كتابكم أيّها اليهود كما أنكرتم كتابهم، والإنجيل لاستوينا، ثمّ بيّن انه لا يكون ذلك ولا يتصوّر لأنّنا لا نجحد الحقّ.

202 ما لكم يا أهل الكتاب أناسا لا يصدر منكم مراعاة للدّين الحقّ.

203 يَحْسُدُ الأَوَّلُ الأَخِيرَ وَمَازَا ... لَ كَذَا المُحْدَثُونَ وَالقُدَمَاءُ

204 قَدْ عَلِمْتُمْ بِظُلْمِ قَابِيلَ هَابِيـ ... ـلَ وَمَظْلُومُ الإِخْوَةِ الأَتْقِيَاءُ

205 وَسَمِعْتُمْ بِكَيْدِ أَبْنَاءِ يَعْقُو ... بَ أَخَاهُمْ وَكُلُّهُمْ صُلَحَاءُ

206 حِينَ أَلْقَوْهُ فِي غَيَابَةِ جُبٍّ ... وَرَمَوْهُ بِالإِفْكِ وَهْوَ بَرَاءُ

207 فَتَأَسَّوْا بِمَنْ مَضَى إِذْ ظُلِمْتُمْ ... فَالتَّأَسِّي لِلنَّفْسِ فِيهِ عَزَاءُ

208 أَتُرَاكُمْ وَفَّيْتُمُ حِينَ خَانُوا ... أَمْ تُرَاكُمْ أَحْسَنْتُمُ إِذْ أَسَاؤُوا

209 بَلْ تَمَادَتْ عَلَى التَّجَاهُلِ آبَا ... ءٌ تَقَفَّتْ آثَارَهَا الأَبْنَاءُ

210 بَيَّنَتْهُ تَوْرَاتُهُمْ وَالأَنَاجِيـ ... ـلُ وَهُمْ فِي جُحُودِهِ شُرَكَاءُ

211 إِنْ تَقُولُوا مَا بَيَّنَتْهُ فَمَازَا ... لَتْ بِهَا عَنْ عُيُونِهِمْ غَشْوَاءُ

---

203 ومن عدم رعايتكم للحقّ انّ الأوّل يحسد الأخير.

204 قد علمتم يا أهل الكتاب بظلم قابيل وهو أوّل أولاد آدم عليه السلام
هابيل وهو ثاني أولاد آدم حسدًا له.

205 وخاطب أهل الكتابين بأنّهم هل سمعوا بكيد أبناء يعقوب لأخيهم
206 يوسف حين ألقوه في غيابة الجبّ ورموه بالسرقة، وهو أخوهم
الصغير.

207 وإذا علمتم ما وقع لمن قبلكم فتعزوا بمن مضى قبلكم.

208 ثمّ قال أتظنّكم أهل الكتاب أيها المسلمون أنكم وفيتم بما
209 عاهدتم الله عليه فأظهرتم الحقّ حين كتموه؟، وأتظنّكم
أحسنتم إذ أساؤا؟. بل لا يرون شيئًا من ذلك واستمرّوا
على التجاهل، وتبعت الأبناء آثار الآباء الباطلة.

210 بيّنت التوراة والأناجيل الحقّ، ومن جملته اثبات نبوة سيّدنا
محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وقد اشترك اليهود والنصارى
في جحود الحقّ الثابت في كتبهم.

211 إن يقل أهل الكتاب من اليهود والنصارى إنّ كتبهم لم تبيّن
الحقّ فلم تزل العماية على عيونهم بل هي باقية.

212 أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيَّنَتْهُ فَمَا لِلْـ ... أُذْنِ عَمَّا تَقُولُهُ صَمَّاءُ

213 عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظُلْمًا ... كَتَمَتْهُ الشَّهَادَةَ الشُّهَدَاءُ

214 أَوَ نُورُ الْإِلَٰهِ تُطْفِئُهُ الْأَفْـ ... ـوَاهُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُسْتَضَاءُ

215 أَوَلَا يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ ... بِرَحَاهَا عَنْ أَمْرِهِ الْهَيْجَاءُ

216 وَكَسَاهُمْ ثَوْبَ الصَّغَارِ وَقَدْ طُلَّتْ ... دِمَا مِنْهُمُ وَصِينَتْ دِمَاءُ

217 كَيْفَ يَهْدِي الْإِلَٰهُ مِنْهُمْ قُلُوبًا ... حَشْوُهَا مِنْ حَبِيبِهِ الْبَغْضَاءُ

218 خَبِّرُونَا أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ مِنْ أَيْـ ... ـنَ أَتَاكُمْ تَثْلِيثُكُمْ وَالْبَدَاءُ

219 مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كِتَابٌ ... وَاعْتِقَادٌ لَا نَصَّ فِيهِ ادِّعَاءُ

220 وَالدَّعَاوِي مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا ... بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاءُ

---

212 وإن يقولوا قد بينته كتبهم فأي شيء جعل آذانهم صمّاء.

213 عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم في قرارة نفوسهم ولكنهم في الظاهر منكرون وإنما دعاهم إلى ذلك الظلم والحسد والعناد.

214 ثم قال لا يمكن أن تطفئ الأفواه نور الله وهو النبوة.

215 وضح لهم بعد ذلك أن الحق يعلو فها أن سلف هؤلاء المنكرين قد أهلكتهم الحرب كما وقع لبني النضير من الجلاء وقتل بني قريظة، فإن استمر أهل الكتابين على إنكار الحق نالهم ما نال سلفهم.

216 اشتد الاسلام على اليهود لما اتصفوا به من المكر فطلّت دماء بني قريظة، وصينت دماء بني النضير بإجلائهم.

217 كيف يهدي الإله قلوبا لأهل الكتابين حشوها شدة البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

218 علمونا أهل الكتابين التوراة والانجيل من أين أتى التثليث -الله وعيسى ومريم- وهو عقيدة النصارى، والبداء وهو ظهور المصلحة لله تعالى بعد خفائها وهو عقيدة اليهود.

219 بعد ان استفهم استفهامًا انكاريا بين أن العقيدتين التثليث والبداء لم يأت بهما كتاب منزل، واعتقاد ما لا نص فيه باطل.

220 وما تدعونه يا معشر اليهود والنصارى ما لم تقيموا عليه أدلة قطعية فهو ادعاء باطل وأصحابه أدعياء.

221 لَيْتَ شِعْرِي ذِكْرُ الثَّلَاثَةِ وَالْوَاحِدِ نَقْصٌ فِي عَدِّكُمْ أَوْ نَمَاءُ
222 كَيْفَ وَحَّدْتُمُ إِلَهًا نَفَى التَّوْحِيدَ عَنْهُ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ
223 أَإِلَهٌ مُرَكَّبٌ مَا سَمِعْنَا بِإِلَهٍ لِذَاتِهِ أَجْزَاءُ
224 أَلِكُلٍّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَهَلَّا تُمَيِّزُ الْأَنْصِبَاءُ
225 أَتُرَاهُمْ لِحَاجَةٍ وَاضْطِرَارٍ خَلَطُوهَا وَمَا بَغَى الْخُلَطَاءُ
226 أَهُوَ الرَّاكِبُ الْحِمَارَ فَيَا عَجْزَ إِلَهٍ يَمَسُّهُ الْإِعْيَاءُ
227 أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحِمَارِ لَقَدْ جَلَّ حِمَارٌ بِجَمْعِهِمْ مَشَّاءُ

---

221 بيّن تناقض النّصارى في ادعائهم التّثليث والتّوحيد فحينئذ يكون التّثليث الذي تدعونه زيادة على الواحد، وادعاؤكم التّوحيد نقصا، وأثبت لهم التناقض لأنّهم يثبتون التّوحيد تارة والتّثليث أخرى.

222 تعجب في هذا البيت من النّصارى كيف يقولون بالتّوحيد مع أن نسبة الأبوّة والبنوّة تنفيه.

223 استفهم استفهامًا انكاريا قائلا: أيمكن أن يكون إله له أجزاء؟ وذلك ممّا يحيله العقل.

224 إنّما أحال العقل أن يكون الاله ذا أجزاء لأنّه يلزم أن يكون لكلّ أحد من الآلهة نصيب من الملك مع أنّ ذلك لم يقع فلا تعدد.

225 وان قيل ان الآلهة خلطوا انصباءهم من الملك، قبل ذلك فهو دليل العجز والإله لا يكون عاجزا، ثمّ انّه متى وجدت الشّركة وجد التّنازع وهو مؤدّ إلى خراب العالم وهذا أخذ من قوله تعالى: (لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا) (الأنبياء، 22) أي لوكان آلهة في السموات والأرض غير الله لفسدتا لكنّهما لم تفسدا فحينئذ انتفى تعدّد الآلهة وثبت التّوحيد.

226، 227 ابطل التعدّد في هذه الأبيات بأسلوب لطيف تهكمي حيث انّ المسيح عليه السّلام كان يركب الحمار فاستفهم عن الإله الذي يركب الحمار أهو عيسى فإذا كان هو فهو عاجز.

228 أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ الإِلَهُ فَمَا نِسْـبَةُ عِيسَى إِلَيْهِ وَالإِنْتِمَاءُ
229 أَمْ أَرَدتُّمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلِمْ خُصَّتْ ثَلَاثٌ بِوَصْفِهِ وَثَنَاءُ
230 أَمْ هُوَ ابْنٌ لِلَّهِ مَا شَارَكَتْهُ فِي مَعَانِي البُنُوَّةِ الأَنْبِيَاءُ
231 قَتَلَتْهُ اليَهُودُ فِيمَا زَعَمْتُمْ وَلِأَمْوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ
232 إِنَّ قَوْلًا أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا لَقَوْلٌ هُرَاءُ
233 مِثْلَ مَا قَالَتِ اليَهُودُ وَكُلٌّ لَزِمَتْهُ مَقَالَةٌ شَنْعَاءُ
234 إِذْ هُمُ اسْتَقْرَؤُا البَدَاءَ وَكَمْ سَاقَ وَبَالًا إِلَيْهِمُ اسْتِقْرَاءُ
235 وَأَرَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الوَاحِدَ القَهَّارَ فِي الخَلْقِ فَاعِلًا مَا يَشَاءُ

= والعجز ليس من صفة الاله ، ثمّ تهكم على أصحاب عقيدة التثليث فاستفهم عن راكبي الحمار أهم الآلهة الثلاثة فما أجل وأعظم هذا الحمار الذي حمل الالهة الثلاثة . وذكر في البيت (228) انّ أصحاب عقيدة التثليث لذا قالوا انّ الاله غير الثلاثة الراكبين على الحمار اجيبوا فما نسبة عيسى إلى الالـه.

229 الى 232 ناقش في هذه الابيات الأربعة عقيدة التثليث عند النّصارى مبطلا لها بدليلين : * الأوّل ان أرادوا بالثلاثة الصّفات الإلهية أبطل هذا الاحتمال بأنّ الصّفات أكثر من ذلك فلم هذه الثلاث دون غيرها ؟ لأنه تحكم. * الاحتمال الثاني : ان قالوا انّ عيسى ابن الله وهو نبيء كسائر الأنبياء فلهذا كان عليكم أن تصفوا كلّ الأنبياء بالبنوّة لله تعالى عن ذلك . ثمّ أبطل ألوهية المسيح بأنّ النّصارى يدّعون أنّ اليهود قتلوه وأحال انه يحيي الموتى فهلا أحيا نفسه وهذا على حسب زعمهم من عقيدة الطلب والا في الحقيقة أنّ الله رفعه إليه حيًّا، وختاما بما اتضح يكون قولهم بالتثليث قولا هراء أي قولا فاحشا .

233 الى 243 انتقل في هذه الأبيات إلى الرّدّ على اليهود في قولهم يلزم على نسخ ملة بملة البداء وهو (ظهور مصلحة بعد خفاء) مبينا ان كلا من مقالة النّصارى ومقالة اليهود لزمته مقالة شنعاء

236 جَوَّزُوا النَّسْخَ مِثْلَمَا جَوَّزُوا الْمَسْخَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فُقَهَاءُ

237 هُوَ إِلاَّ أَنْ يَرْفَعَ الْحُكْمُ بِالْحُكْمِ وَخَلْقٌ فِيهِ وَأَمْرٌ سَوَاءُ

238 وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ انْتِهَاءُ   وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ ابْتِدَاءُ

239 فَسَلُوهُمْ أَكَانَ فِي مَسْخِهِمْ نَسْخٌ لِآيَاتِ اللَّهِ أَمْ إِنْشَاءُ

240 وَبَدَاءٌ فِي قَوْلِهِمْ نَدِمَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِ آدَمٍ أَمْ خَطَاءُ

241 أَمْ مَحَا اللَّهُ آيَةَ اللَّيْلِ ذِكْرًا   بَعْدَ سَهْوٍ لِيُوجَدَ الْإِمْسَاءُ

= فاليهود الزاعمون أن النسخ يُوجب البداء يردّه ما أفاده العقل الرجيح وهو انّ الأسباب الداعية للنسخ ترجع إلى مصالح العباد، كالطبيب يأمر بدواء في يوم، وبآخر في يوم آخر، هذه تقدمة نضيفها لما رد به البوصيري تبيّن حكمة النسخ.

ثمّ شرع البوصيري في الردّ عليهم بالزامهم انّهم إذا انكروا النسخ يلزم على انكارهم عجز الواحد القهّار، ثمّ ألزم المنكرين للنسخ بأنّهم لو كانوا عقلاء لحكموا بجواز النسخ مثل حكمهم بتجويز المسخ إذ لا فرق بينهما. ثمّ وضع هذا الردّ بأن النسخ رفع تعلق حكم بحكم آخر، والمسخ تبديل صورة مخلوقة بصورة أخرى وانّما التبديل في النسخ في الحكم، وفي المسخ في الخلق.

ثمّ انتقل في الردّ عليهم إلى أنّ النسخ هو انتهاء لحكم وهو المنسوخ، وابتداء لآخر وهو النّاسخ.

وبالغ في هذا فامر بسؤال اليهود عن المسخ أهو نسخ لآيات الله ام انشاء، فان اعترفوا بأنّه نسخ فقد ثبتت الحجّة عليهم، وان قالوا انّه انشاء فذلك مكابرة.

ثمّ أمر بسؤال اليهود مبالغة في الرّدّ عليهم عن قولهم (ندم الله على خلق آدم) أهو عن قصد منهم او خطا.

242 أَمْ بَدَا لِلْإِلَٰهِ فِي ذَبْحِ إِسْحَا ... قَ وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ مَضَاءُ

243 أَوَ مَا حَرَّمَ الْإِلَٰهُ نِكَاحَ الْـ ... أُخْتِ بَعْدَ التَّحْلِيلِ فَهُوَ الزِّنَاءُ

اتصاف اليهود بأوصاف ذميمة وما نالهم من جراء خداعهم

244 لَا تُكَذِّبْ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا ... غُوا عَنِ الْحَقِّ مَعْشَرٌ لُؤَمَاءُ

245 جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَآمَنَ بِالطَّا ... غُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ

246 قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَاتَّخَذُوا الْعِجْـ ... ـلَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ

247 وَسَفِيهٌ مَنْ سَاءَهُ الْمَنُّ وَالسَّلْـ ... ـوَى وَأَرْضَاهُ الْفُومُ وَالْقِثَّاءُ

= فإن كان عن قصد فقولهم هذا البداء الّذي من أجله أنكروا النسخ للملة اليهودية، وإن قالوا ان قولهم هذا هو خطأ منهم اعترفوا بالغباوة وأمر بسؤالهم عن أمر ثالث وهو محو آية اللّيل بالنّهار أهو عن قصد أم عن سهو، في كلتا الحالتين الزام لهم بالقول بالنسخ، كما أمر بسؤال رابع ملزم لهم بالقول بالنّسخ وهو انّ الله تعالى أمر إبراهيم عليه السّلام بذبح اسحاق ثمّ لمّا أضجعه نسخ حكم الذّبح بتركه وفداهُ بذبح عظيم وانّما اقتصر النّاظم على أنّ الذّبيح هو اسحاق لأنّه في مقام الرّدّ على اليهود، وهذا هو معتقدهم، ومذهب أهل السنة انّ الذّبيح هو إسماعيل، ثمّ أمر بسؤال اليهود عن أمر خامس ملزم لهم بالاقرار بالنسخ وهو انّ نكاح الأُخت كان حلالا في زمن آدم ثمّ نسخ الله حكمه بالتحريم.

244 إلى 257.

لا سبيل إلى التكذيب بأنّ اليهود زائغون عن الحقّ وهم معشر لؤماء كما انهم من زيغهم جحدوا نبوة النبيء المصطفى صلّى الله عليه وسلم واقروا من آمن بالباطل على باطلهم حين سألتهم قريش المشركون أنحن خير دينا من محمد ؟ قالوا: نعم. ومن زيغهم وسفههم قتلهم الانبياء كزكرياء ويحيى واتخاذهم العجل لها، وقد صاغه لهم السّامري من حلي القِبط المستعارة.

248 مُلِئَتْ بِالْخَبِيثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ ... فَهْيَ نَارٌ طِبَاقُهَا الْأَمْعَاءُ

249 لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالِ سَبْتٍ بِخَيْرٍ ... كَانَ سَبْتًا لَدَيْهِمُ الْأَرْبِعَاءُ

250 هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْـ ... ـرِيفِ فِيهِ مِنَ الْيَهُودِ اعْتِدَاءُ

251 فَبِظُلْمٍ مِنْهُمْ وَكُفْرٍ عَدَتْهُمْ ... طَيِّبَاتٌ فِي تَرْكِهِنَّ ابْتِلَاءُ

252 خُدِعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يَنْـ ... ـفُقُ إِلَّا عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ

253 وَاطْمَأَنُّوا بِقَوْلِ الْأَحْزَابِ إِخْوَا ... نِهِمُ إِنَّنَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ

254 حَالَفُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَلَمْ أَدْ ... رِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْحُلَفَاءُ

255 أَسْلَمُوهُمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ لَا مِيـ ... ـعَادُهُمْ صَادِقٌ وَلَا الْإِيلَاءُ

= ومن خبثهم انهم أحزنهم ما منحهم الله من المنّ، وهو نوع من الحلواء كان ينزل عليهم، والسلوى: وهو الطير السماني، كان من أشهى الطيور لحمًا، وسألوا الفوم وهو الثوم والقثّاء وهو الخيار.

ومن مخازيهم انّ الحرام وأكل السحت والرّبا ملئت به بطونهم، ولو أراد الله بهم خيرًا لجعل السبت الذي هو بمعنى القطع محلّه الاربعاء الذي خلق النّور فيه، ومع ذلك أنّ يوم السّبت يوم مبارك لأنّ الله ابتدأ فيه خلق هذا العالم.

وذكر أنّ اليهود اعتدوا بالتصرف فيه بالبيع ونحوه فمسخ الكثير منهم قردة وخنازير.

وبسبب ظلم اليهود بأخذ الرّبا وأكلهم أموال النّاس بالباطل. وكفرهم فاتتهُم طيّبات من الرّزق حرمها الله عليهم، وفي ترك الطيّبات هلاك لهم.

ثمّ ذكر مانالهم من أجل انخداعهم وخداعهم، وخلاصة ما ذكره انّ المنافقين من الأوس والخزرج خدعوا اليهود فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة فتعنتت أحبارهم على النّبيء صلّى الله عليه وسلّم فرد شبه هؤلاء الأحبار القرآن الكريم وترتب على ذلك اجلاء بني النّضير من الحجاز الى الشام وهو ما عبر عنه الناظم بقوله:

اسلموهم لأول الحشر ...

والحشر الثاني في عهد عمر رضي الله عنه من خيبر.

256 سَكَنَ الرُّعْبُ وَالْخَرَابُ قُلُوبًا وَبُيُوتًا مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلَاءُ

257 وَبِيَوْمِ الْأَحْزَابِ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ فِيهِ وَضَلَّتِ الْآرَاءُ

مجازاة المؤذين بالهلاك .

258 وَتَعَدَّوْا إِلَى النَّبِيِّ حُدُودًا كَانَ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْعَدْوَاءُ

259 وَنَهَتْهُمْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ فَأُبِيدَ الْأَمَّارُ وَالنَّهَّاءُ

260 وَتَعَاطَوْا فِي أَحْمَدٍ مُنْكَرَ الْقَوْلِ وَنُطْقُ الْأَرَاذِلِ الْعَوْرَاءُ

261 كُلُّ رِجْسٍ يَزِيدُهُ الْخُلُقُ السُّوءُ سِفَاهًا وَالْمِلَّةُ الْعَوْجَاءُ

262 فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوْمِ وَمَا سَاقَ لِلْبَذِيِّ الْبَذَاءُ

263 وَجَدَ السَّبَّ فِيهِ سَمًّا وَلَمْ يَدْرِ إِذِ الْمِيمُ فِي مَوَاضِعَ بَاءُ

= وأشار إلى تحالف اليهود مع الأحزاب وهم طوائف العرب المتجمعة من أهل مكة ومن معهم الذين تجمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصدوا المدينة فكانت غزوة الأحزاب، وحين اشتداد البأس نقض بنو قريظة عهدهم للنبيء صلى الله عليه وسلم . ولما رجع المتحزبون من الكفار ورفع الحصار عن المدينة غزا المسلمون بني قريظة وحاصروهم إلى أن نزلوا على حكم سيدنا سعد بن معاذ بأن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم .

258 - تعدى الكفار الحدود من اليهود وغيرهم بإذايتهم للنبيء صلى الله عليه وسلم فجوزوا بالهلاك وبعدهم عن النجاة .

259 - أي نهى أولئك المعتدين أقوام منهم ليكفوهم عن الإذاية فلم ينتهوا فهلك الأمار بالإذاية والنهاء عن اتباع النبيء صلى الله عليه وسلم

260 - وتناول الكفار القول المنكر في النبيء صلى الله عليه وسلم فقالوا: ساحر، وكاهن، ومجنون، ونطق الأراذل أي الأخساء الأسافل الفحش.

261 - أفاد أن كل قذارة يزيدها الخلق السوء سفاهة، وكذلك الملة العوجاء التي هم عليها تزيدهم أيضا سفاهة، فتضاعفت سفاهتهم.

262 - أمر العقلاء بأن ينظروا ما هي عاقبة الاذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

263 - حيث انقلب السب سما بابدال الباء ميما فأهلكهم السب كما يهلك السم .

264 كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ فَهْوَ فِي سُوءِ فِعْلِهِ الزَّبَّاءُ
265 أَوْ هُوَ النَّحْلُ قَرْصُهَا يَجْلِبُ الْحَتْـ ـفَ إِلَيْهَا وَمَا لَهُ إِنْكَاءُ

عاقبة قومه المناوئين له :

266 صَرَعَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمُ وَالدَّهَاءُ
267 فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الْحَرْبِ تَخْتَا لُ وَلِلْخَيْلِ فِي الْوَغَى خُيَلَاءُ
268 قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنَا فَقَوَافِي الطَّعْـ ـنِ مِنْهَا مَا شَانَهَا الْإِيطَاءُ
269 وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقْعًا ظُنَّ أَنَّ الْغُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ
270 أَحْجَمَتْ عِنْدَهَا الْحُجُونُ وَأَكْدَى عِنْدَ اعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كُدَاءُ
271 وَدَهَتْ أَوْجُهًا بِهَا وَبُيُوتًا مُلَّ مِنْهَا الْإِكْفَاءُ وَالْإِقْوَاءُ

---

264 و 265 وتسبّب الايذاء ان البذيّ تسبّبت له بذاءة فمه في قتل نفسه بيديه فهو شبيه بالملكة الزّبّاء التي أدركها عمرو فمصّت خاتما فيه السّمّ فقتلت نفسها بيدها وأتى بتشبيه آخر لعاقبة البذيّ اللّسان فشبّهه بالنّحل التي لسعها يجلب لها حتفها أي موتها والحال ان لسعها ليست له نكاية.

266. صرع قومه الذين لم يؤمنوا بالنّبيء صلّى الله عليه وسلّم مكرهم ولم يجدهم مكرهم ولا دهاؤهم الخبيث.

267. فبسبب مكرهم أتتهم من قبله صلّى الله عليه وسلّم خيل يتبختر بها شجعان المسلمين فعاد مكرهم وبالا عليهم.

268. المعنى قوي طعن القنا ـ وهي الرّماح ـ في أبدانهم تكرارا وإعادة.

269. أثارت خيل المسلمين التي قصدت مكّة نقعا أي غبارا حتى أظلم الجوّ وهذا اشارة إلى غزوة فتح مكّة ووقعت في رمضان سنة (8)

270. أشار في هذا البيت إلى دخول جيش الفتح مكّة حيث كان من جهتين الأولى جهة الحجون ـ وهو الجبل المطلّ على مقبرة مكّة وهي المعلاة ـ ومنها دخل النبيء صلّى الله عليه وسلّم ومعه المهاجرون والأنصار، والجهة الثّانية من كُدا ـ بضمّ الكاف ـ من أسفل مكّة، حيث أمر خالد بن الوليد أن يدخل من هناك .

عفوه وجمال أفعاله :

272 فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ وَالْعَفْـ ـوُ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالْإِغْضَاءُ

273 نَاشَدُوهُ الْقُرْبَى الَّتِي مِنْ قُرَيْشٍ قَطَعَتْهَا التِّرَاتُ وَالشَّحْنَاءُ

274 فَعَفَا عَفْوَ قَادِرٍ لَمْ يُنَغِّصْـ ـهُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ

275 وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلَّـ ـهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالْإِقْصَاءُ

276 وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ مِنْ سِوَاهُ الْمَلَامُ وَالْإِطْرَاءُ

277 وَلَوَ انَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ

278 قَامَ لِلَّهِ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى اللَّـ ـهَ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ

= وَمَعنى أحجمت الحجون : أنّ أهْلَها كفوا عن القتال، وَأمّا كُدَا فإنّ أهلها قاتلوا قليلاً وإلى ذلك أشار قوله : (وأكدى :. عند اعطائه القليل كداء)
ومعنى : أكدى : قطع .

271 - أي أصابت خيل الفتح أوجهًا من النّاس قاتلت ، وبيوتًا فرّ أهلها منها

272 إلى 274 - لمّا دَخل النّبيء صَلّى الله عَلَيه وسَلّم مكّة دعته قريش وهو أحلم البريّة وجواب الحليم الإغضاء وهو الإعراض عن العقوبة ، وناشدوه بالقربى أي أن يصل القرابة التي بينه وبينهُم وهي من قريش وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صَلّى الله عليه وسلّم ، وتلك القرابة التي قطعتها التراث - أي عدم ادراك الثأر - والشّحناء : أي التّباغض والتّحاسد ، وبسبب تلك المناشدة والسّؤال بالقرابة عفا عنهم عفو قادر ولم يكدر عفوه مامَضَى منهُم من مُبالغة في الإيذاء .

275 - 276 - أفاد أنّهُ إذا كانَ القطع والوصل لِلّه أن يتسَاوى عنده تقريب الأقارب والأباعد وإقصاء الأقارب والأباعد ويتساوى عنده اللوم والمدح .

277 إلى 281 - أبانت جملة هذه الأبيات ما اتّصف به النّبيء صَلّى الله عَليه وسلّم من أن أفعاله لَيستْ معلّلة بهوى النّفس وإنّما هي كلّها لِلّهِ تعالى ولذلك لما ناشدتهُ قريش القربى عفا عنهَا . ولو كانت أفعاله لهوى النّفس لانتقم منهُم أشدّ انتقام وَلقطعهم وجفاهم

=

279 فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْـضَحُ إِلَّا بِمَا حَوَاهُ ٱلْإِنَاءُ

280 أَطْرَبَ ٱلسَّامِعِينَ ذِكْرُ عُلَاهُ يَا لَرَاحٍ مَالَتْ بِهِ ٱلنُّدَمَاءُ

281 ٱلنَّبِيُّ ٱلْأُمِّيُّ أَعْلَمُ مَنْ أَسْـنَدَ عَنْهُ ٱلرُّوَاةُ وَٱلْحُكَمَاءُ

الحج والزيارة :

282 وَعَدَتْنِي إِذْ يَارَةُ ٱلْعَامِ وَجْنَاءُ وَمَنَّتْ بِوَعْدِهَا ٱلْوَجْنَاءُ

283 أَفَلَا أَنْطَوِي لَهَا فِي ٱقْتِضَائِـهِ لِتُطْوَى مَا بَيْنَنَا ٱلْأَفْلَاءُ

284 بِأُلُوفِ ٱلْبَطْحَاءِ يُجْفِلُهَا ٱلنِّيلُ وَقَدْ شَفَّ جَوْفَهَا ٱلْإِظْمَاءُ

285 أَنْكَرَتْ مِصْرَ فَهْيَ تَنْفِرُ مَالَا حَ بِنَاءٌ لِعَيْنِهَا أَوْ خَلَاءُ

286 فَأَقَضَّتْ عَلَى مَبَارِكِهَا بِرْ كَتُهَا فَٱلْبُوَيْبُ فَٱلْخَضْرَاءُ

287 فَٱلْقِبَابُ ٱلَّتِي تَلِيهَا فَبِئْرُ ٱلنَّخْلِ وَٱلرَّكْبُ قَائِلُونَ رِوَاءُ

= ولهذا كانت أفعاله كلها جميلة ولسمو نفسه الكريمة لا يصدر عنه إلا ما يرضي كما أن الإناء المليء طيبًا لا ينضح أي لا يرشح إلا بما هو طيب.

ولجمال أفعاله كانت إذا سمع بها السامعون طربوا لها فضلًا عن الذين نالتهم ثم أشار إلى أن النبيء صلى الله عليه وسلم مع كونه أميًّا - والأمي نسبة إلى الأم وهو من لا يكتب ولا يقرأ - أتى بما أعجز البشر كلهم وملك عليهم عقولهم، فهو أعرف العارفين وأحكم الحكماء النابغين، ولذلك أخذ عنه ما جاء به الرواة والحكماء.

282 - 296 أفاد في الأبيات الرحلة إلى مكة فأفاد أولًا المنازل التي يمر بها الركب من مصر إلى مكة.

وأفاد في البيت الأول أن الوجناء وهي الناقة القوية وعدته زيارة النبيء صلى الله عليه وسلم في السنة التي تمت فيها الزيارة ووفت بوعدها.

ثم استفهم قائلًا : أيليق بي ترك الزيارة ؟ فلا أنضم إلى الناقة بركوبها لتطوى الفلوات بيني وبين المثوى الكريم - أي قبره صلى الله عليه وسلم وهذا =

288 وَغَدَتْ أَيْلَةٌ وَحِقْلٌ وَقُرٌّ خَلْفَهَا فَٱلْمَغَارَةُ ٱلْفَيْحَاءُ
289 فَعُيُونُ ٱلْأَقْصَابِ يَتْبَعُهَا ٱلنَّبْكُ وَيَتْلُو كَفَافَةَ ٱلْعَوْجَاءُ
290 حَاوَرَتْهَا ٱلْحَوْرَاءُ شَوْقًا فَيَنْبُوعُ فَرَقَ ٱلْيَنْبُوعَ وَٱلْحَوْرَاءُ

= الطيّ بألوف البطحاء - أي بهذه النّاقة الّتي ألفت بطحاء مكّة، ولإيلاف هذه النّاقة مكّة صارت يزعجها النيل، والحال أنها قد شفّ جوفها الإضماء وهو العطش.
وهي من حبّها لمكّة انكرت مصر ونفرت ممّا يلوح لعينيها من بناء أو فضاء.
ثمّ شرع في ذكر المنازل مستهلا بأن البركة أقضت مضاجعها وهذا ما اختاره الشّيخ الإمام النّبهاني أي خشنت مضاجعها والذي عليه كلّ الشراح: فأفضّت بركتها أي سالت، والبركة أوّل محلّ يلي طريق الحجاز تجتمع فيه الحجاج للتأهّب للسّفر.
2- والبويب - بالتّصغير موضع بعد البركة.
3- الخضراء: قرية بالمحلّ المسمّى بعجرود وبجانب القرية بركة ماء تملأ من بئر.
4- القباب الّتي تلي المنازل السّابقة أي وادي القباب.
5- بئر النّخل موضع فيه بركة ماء تملأ من بئر وماؤها أحسن من الّذي قبلها، ولهذا قال: (والركب قائلون رواء) وقائلون: أي مستريحون وقت القيلولة.
6- ومن المنازل: أيْلَة أي عقبة أيلة وهي عقبة صعبة الهبوط والصّعود وبندرها حصن حصين في قريّة على شاطئ البحر، وقد ذكر المفسّرون: انّ القرية التي كانت حاضرة البحر هي: أيلة.
7- حِقل: بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة تسميه العامّة: دوّار حقّن.
8- قُرّ: بضمّ القاف والرّاء المشدّدة - قال ابن حجر الهيتمي شارح الهمزيّة: ليس هذا الاسم مشهورا عند النّاس اليوم، وابن حجر

291 لَاحَ بِالدَّهْنَوَيْنِ بَدْرٌ لَهَا بَعْـدَ حُنَيْنٍ وَحَنَّتِ الصَّفْرَاءُ
292 وَنَضَتْ بَزْوَةٌ فَرَابِـغُ فَالْجُحْفَةُ عَنْـهَا مَا حَاكَهُ الْإِنْضَاءُ

= من رجال القرن العاشر توفي سنة (974هـ)، وأراد البوصيري بقوله: (خلفها) أي الناقة.

(9). المغارة الفيحاء، أي الواسعة كأنّهُ أراد بها المحل المعروف الآن أي في زمن الشيخ سليمان الجمل شارح الهمزية (1204هـ) بمغاير شعيب نسبة لشعيب النبيء عليه الصلاة والسلام.

(10). عيون الاقصاب: سمي هذا المنزل بذلك لكثرة ما فيه من القصب.

(11). النّبك: بفتح النون وسكون الموحدة، وهذا المنزل قال ابن حجر الهيتمي ليس بمشهور، وقال سليمان الجمل: ولعله أراد به المكان المسمّى بنبط.

(12). الكفافة، وصفها النّاظم بالعوجاء أي أنّها منحرفة عن جادة الطريق، وقال الجمل تعرف في عصره بسلمى وكفافة.

13. الحوراء: حفائر على ساحل البحر، ونسب النّاظم إلى الحوراء محادثة النّاقة، وكذلك ينبوع الآتي ونسب لهما الرقة أي الاشتياق.

(14). ينبوع: قال الجمل: هو الآن - أي في عصره - يعرف بينبع كينصر وينبع هو أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الاياب.

(15). الدّهنوان: هو الآن محل واحد يسمّى بالدّهناء، وهي موضع أمام ينبع.

(16). بدر: وقال النّاظم: (لاح بالدّهنوين بدر لها) أي ظهر فيها بدر، وهي قرية عامرة كبيرة، ومحل الواقعة المشهورة بهذا المكان التي أعزّ الله بها الإسلام.

(17). وحنين جبل صغير قريب من بدر، وحنين هذه غير حنين التي بين مكة والطّائف المذكورة في الآية.

293 وَأَرَتْهَا ٱلْخَلَاصَ بِئْرُ عَلِيٍّ فَعُقَابُ ٱلسَّوِيقِ فَٱلْخُلَصَاءُ
294 فَهْيَ مِنْ مَاءِ بِئْرِ عُسْفَانَ أَوْ مِنْ بَطْنِ مَرٍّ ضَمْآنَةٌ خَمْصَاءُ
295 قَرَّبَ الزَّاهِرُ الْمَسَاجِدَ مِنْهَا بِخُطَاهَا فَالْبُطْءُ مِنْهَا وَحَاءُ
296 هَذِهِ عِدَّةُ الْمَنَازِلِ لَامَا عُدَّ فِيهِ السِّمَاكُ وَالْعَوَّاءُ

=18) الصّفراء : قَرية مَعروفَة.
.19) بزوة : مكان يُسمّى بقاع البزوي عند الحاج.
.20) رابغ : هو واد بين الحرمين الشّريفين مكّة والمدينة قرب البحر.
.21) الجحفة : محل بعد رابغ ، وقول النّاظم (وَنَضَتْ بَزْوَةَ .البيت)
أي انّ هذه الأماكن : بزوة ورابغ والجحفة خلعت عن النّاقة الاعياء لفرحها بقرب الوصول .
.22) بئر علي : قال الجمل : هو المشهور الآن ببئر التفلة .
.23) عقاب السّويق : قال ابن حجر قريب من المكان المتقدّم.
.24) الخلصاء : قال ابن حجر : اشتهر في عصره بخليص وفيه عين ماء واسعة وبركة ، والأماكن الثلاثة الأخيرة أرت النّاقة الخلاص لأنها قريبة من مكّة.
.25) بئر عسفان : بضمّ العين كعثمان على مرحلتين من مكّة .
.26) بطن مرّ : ويسمّى : مرّ الظهران قريب من مكّة .
.27) الزّاهر : مكان مشهور قبيل ذي طوى في داخل الحرم .
.28) المساجد : المحل المعروف بمساجد عائشة .
ختم ذكره للمنازل التي بين مصر ومكّة بقوله :
هَذِهِ عِدَّةُ المنازل لَامَا عُدَّ فِيهِ السِّمَاكُ وَالْعَوَّاءُ
أي هذه المنازل بين مصر ومكّة هي المنازل التي عليها المعول لا منازل القمر.
وكلّ من هذه المنازل ثمانية وعشرون .
ومن منازل القمر : السّماك الأعزل، والعواء.

التّنقّل بين مكّة وبقيّة المشاعر :

297 فَكَأَنِّي بِهَا أُرَحِّلُ مِنْ مَكَّةَ شَمْسًا سَمَاؤُهَا الْبَيْدَاءُ

298 مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ مَأْوَى الرُّسْلِ حَيْثُ الْأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ

299 حَيْثُ فَرْضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيُ وَالْحَلْقُ وَرَمْيُ الْجِمَارِ وَالْإِهْدَاءُ

300 حَبَّذَا حَبَّذَا مَعَاهِدُ مِنْهَا لَمْ يُغَيِّرْ آيَاتِهِنَّ الْبَلَاءُ

301 حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ وَمَقَامٌ فِيهِ الْمُقَامُ تَلَاءُ

302 فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لَا يُحْمَدُ إِلَّا فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ

---

297 إلى 302. شبه في البيت الأوّل ناقته التي ركبها في مكّة وانتقلت به إلى عرفة إلى مزدلفة إلى منى بالشّمس لرفعة مقصدها، وشبه البيداء التي تسير فيها بالسّماء.

وأرحل في هذا البيت يصحّ بناؤه للفاعل كما يصحّ بناؤه للنّائب. ولمّا ذكر مكّة في البيت الأوّل، ذكر في البيت الثاني أنّ مكّة موضع للبيت أي الكعبة، ومهبط الوحي ومأوى الرّسل فهناك الأنوار وهناك البهاء، ثمّ ذكر أفعال الحجّ من الطّواف والسّعي والحلق ورمي الجمار، والاهداء: وهو سوق الهدي إلى مكّة وذبحه بها.

ثمّ قال: (حبذا حبذا معاهد البيت) أي هذه المعاهد حبيبة إليّ ولم يغيّرها البلاء أي القدم.

وذكر أيضا من الأشياء التي شرّف الله بها مكّة أنّها حرم آمن، وهي محترمة بحرمة الله من يوم خلق السّموات والأرض كما في الحديث الصحيح وقد ضبطت كتب المناسك حدود الحرم وأنّ بها البيت الحرام الكعبة، وأنّ بها المقام بفتح الميم وهو الحجر الذي أنزل لابراهيم عليه السّلام لبناء الكعبة وفيه أثر قدميه ثمّ ذكر أنّ المقام بضمّ الميم في الحرم تلاء أي ذمة وجوار.

وذكر أنّه أدّى المناسك بها، والمناسك جمع منسك من النّسك وهي العبادة أي متعبّدات الحجّ والعمرة وهذه المناسك هي التي لا يحمد القضاء أي الأداء الّا في فعلها.

السَّير للزِّيَارة المشرفة :

303 وَرَمَيْنَا بِهَا الْفِجَاجَ إِلَى طَيْبَةَ وَالسَّيْرُ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ
304 فَأَصَبْنَا عَنْ قَوْسِهَا غَرَضَ الْقُرْبِ وَنِعْمَ الْخَبِيئَةُ الْكَوْمَاءُ
305 فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَبِيبِ يَغُضُّ الطَّرْفَ مِنْهَا الضِّيَاءُ وَاللَّأْلَاءُ
306 فَكَأَنَّ الْبَيْدَاءَ مِنْ حَيْثُ مَا قَابَلَتِ الْعَيْنُ رَوْضَةٌ غَنَّاءُ
307 وَكَأَنَّ الْبِقَاعَ زَرَّتْ عَلَيْهَا طَرَفَيْهَا مُلَاءَةٌ حَمْرَاءُ
308 وَكَأَنَّ الْأَرْجَاءَ تَنْشُرُ نَشْرَ الْمِسْكِ فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْجِرْبِيَاءُ
309 فَإِذَا شِمْتَ أَوْ شَمِمْتَ رُبَاهَا لَاحَ مِنْهَا بَرْقٌ وَفَاحَ كِبَاءُ
310 أَيَّ نُورٍ وَأَيَّ نُورٍ شَهِدْنَا يَوْمَ أَبْدَتْ لَنَا الْقِبَابَ قُبَاءُ

---

303 إلى 312 انتقل إلى وصف رحلته إلى طيبة وهي المدينة المنورة ، فذكر أنه رمى بناقته التي ألفت البطحاء الفجاج وهي جمع فج وهو الطريق الواسعة يقصد طيبة والسير بالمطايا يشبه سير السهم إذا رمي به.

وأنه أصاب غرضه من القرب من المدينة المشرفة بسبب ركوبه تلك الناقة.

ورأى أرض الحبيب صلى الله عليه وسلم يغض الطرف أي يخفضه نورها المشرق.

وشبه البيداء بين مكة والمدينة بالروضة الغناء حيثما قابلت العين، كما شبه الأماكن التي حول المدينة المنورة لما تغشاها الأنوار المشعة من قبره عليه الصلاة والسلام بخيمة حمراء شدت على ما فيها أزرارها.

وأفاد أنه كما لاحت فيها الأنوار فاح طيبها فكأن ريح الجنوب والشمال ينشران المسك في أرجائها.

فإذا ما نظرت رباها أو شممتها لاح منها البرق النوراني وفاح كباء - بكسر الكاف - أي ريح البخور.

=

311 قَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اصْطِبَارِي ... فَدُمُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي جُفَاءُ
312 فَتَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّوْ ... قِ إِلَى طَيْبَةٍ لَهُمْ ضَوْضَاءُ

ما يعتري القادمين من عظيم المهابة :

313 فَكَأَنَّ الزُّوَّارَ مَا مَسَّتِ الْبَأْ ... سَاءُ مِنْهُمْ خَلْقًا وَلَا الضَّرَّاءُ
314 كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسُؤْلٌ ... وَدُعَاءٌ وَرَغْبَةٌ وَابْتِغَاءُ
315 وَزَفِيرٌ تَظُنُّ مِنْهُ صُدُورًا ... صَادِحَاتٍ يَعْتَادُهُنَّ زُقَاءُ
316 وَبُكَاءٌ يُغْرِيهِ بِالْعَيْنِ مَدٌّ ... وَنَحِيبٌ يَحُثُّهُ اسْتِعْلَاءُ
317 وَجُسُومٌ كَأَنَّمَا رَحَضَتْهَا ... مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرُّحَضَاءُ
318 وَوُجُوهٌ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهَا ... مِنْ حَيَاءٍ أَلْوَانَهَا الْحِرْبَاءُ

= وحينَ وَصَلَ إلَى قُبَاء - بِضَمِّ القَاف - شاهد الزَّائرونَ نورا باهرا وأزهارا نضيرة حين رأوا القباب الّتي هناك، واعترته حين قرب من المدينة حال ثبت فيها دمعه فهو سيل، وفرّ اصطباره فهو كالجُفاء أي الزبد وبسبب ما يعتري من الحال يرى المخاطب السائرين جادين في السّير لشدّة الشّوق إلى المدينة المنوّرة فكيف بالشوق إليه صلى الله عليه وسلّم وللزّائرين حين القرب ارتفاع الأصوات بالصّلاة على النّبيء صلى الله عليه وسلّم

313 إلى 319 كما يرى المخاطب أنّ الزّائرين للمدينة المنوّرة رغم شدّة السّفر كأنّهم ما مسّتهم البأساء ولا الضّرّاء.

وأتى بعد ذلك بوصف ما يعتري القادمين عليه من عظيم المهابة التي تستولي على القلوب.

فلنفوس القادمين عليه صلّى الله عليه وسلّم ابتهال أي تضرّع إلى الله تعالى، وتوسل بأحب الخلق إلى الله تعالى ودعاء ورغبة وابتغاء لجزيل الثواب، ولتلك النّفوس زفير من شدّة الخشية وعظيم المهابة ولشدّة ذلك الزّفير كأنّه زقاء.

ومن شدّة الشّوق أسبلت العيون الدّموع الغزيرة لهيبة المثول =

319 وَدُمُوعٌ كَأَنَّمَا أَرْسَلَتْهَا مِنْ جُفُونٍ سَحَابَةٌ وَطْفَاءُ

المواجهة الشريفة :

320 فَحَطَطْنَا الرِّحَالَ حَيْثُ يُحَطُّ الْوِزْرُ عَنَّا وَتُرْفَعُ الْحَوْجَاءُ

321 وَقَرَأْنَا السَّلَامَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الْإِقْرَاءُ

322 وَذَهِلْنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَكَمْ أَذْهَلَ صَبًّا مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ

323 وَوَجَمْنَا مِنَ الْمَهَابَةِ حَتَّى لَا كَلَامٌ مِنَّا وَلَا إِيمَاءُ

324 وَرَجَعْنَا وَلِلْقُلُوبِ الْتِفَاتَاتٌ إِلَيْهِ وَلِلْجُسُومِ انْثِنَاءُ

325 وَسَمَحْنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسْمَحُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْبُخَلَاءُ

= بين يديه صلّى الله عليه وسلّم ، ومدّ البكاءَ سيل من الدّموع وحثّ النحيب وهو رفع الصوت بالبكاء استعلاء.

وللجلالة التي استولت على القلوب أصبحت جسوم القادمين من كثرة الرّحضاء - وهو العرق اثر الحُمّى - كأنّه غسلها ، ولعظمة الموقف تغيّرت الوجوه حياء فكأنّما ألبستها الحرباء ألوانها ولجلال الموقف تهاطلت الدّموع بسبب الأسباب الباعثة على البكاء ، وقد شبّه هذه الأسباب بالسّحابة الدّائمة السح.

320 الى 325 ذكر في هذه الأبيات وقوفه في المواجهة الشّريفة فابتدأ بأنّه حطّ رحله في المدينة المنوّرة حيث يحطّ القاصد ذنوبه ويرفع سائلا حاجته ثمّ وصف موقفه في المواجهة النّبويّة بأنّه أقرأ السّلام أكرم الخليقة صلّى الله عليه وسلّم حيث إن إقراء السّلام عند قبره يسمع كما جاء في الحديث « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عِنْدَ قَبْرِي إِلَّا رَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ »(1) . ولمّا استولت عليه سبحات الجلال ذهل عند وقوفه في المواجهة الشّريفة ، وهذا شأن الصّبّ عند لقاء الحبيب.

وكما ذهل كذلك وجم أي سكت من أجل المهابة فلا كلام ولا إشارة. ثمّ لمّا عزم على القفول من الزّيارة كان لقلبه التفات إلى المدينة ، ولجسمه انعطاف إليها =

---

(1) روى هذا الحديث أبو داود في جامعه والسّيوطي في الجامع الصّغير ، وذكر الحفني في حواشيه على الجامع أن ردّه عليه الصّلاة والسّلام إذا كان المسلم بالقرب لأنّ الحديث في الجامع ليس فيه عند قبري . بل لفظه : مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ .

استعطافه صلّى الله عليه وسلّم :

326 يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي ضِمْنُ أَقْسَا ... مِي عَلَيْهِ مَدْحٌ لَهُ وَثَنَاءُ
327 بِالْعُلُومِ الَّتِي عَلَيْكَ مِنَ اللّـ ... ـهِ بِلاَ كَاتِبٍ لَهَا إِمْلاَءُ
328 وَمَسِيرِ الصَّبَا بِنَصْرِكَ شَهْرًا ... فَكَأَنَّ الصَّبَا لَدَيْكَ رُخَاءُ
329 وَعَلِيٍّ لَمَّا تَفَلْتَ بِعَيْنَيْـ ... ـهِ وَكِلْتَاهُمَا مَعًا رَمْدَاءُ
330 فَغَدَا نَاظِرًا بِعَيْنَيْ عُقَابٍ ... فِي غَزَاةٍ لَهَا الْعُقَابُ لِوَاءُ

الإقسام على النبيء صلّى الله عليه وسلّم بآله

331 وَبِرَيْحَانَتَيْنِ طِيبُهُمَا مِنْكَ الَّذِي أُودِعَتْهُمَا الزَّهْرَاءُ

= وختم وصفه لزيارته صلّى الله عليه وسلّم بأنّه سمح لنفسه بفراق ما يحبّ من الوقوف في المواجهة الشّريفة وإن كانت نفسه بخيلة بها لكن قد يسمح البخيل عند الضّرورة ، والضّرورة الدّاعية إلى الرّجوع القيام بالشّؤون الملقاة على الإنسان .

326 إلى 330 - لمّا تمّ مقصد الزّيارة المشرّفة شرع في مقصد آخر وهو التّضرّع والابتهال إلى الله تعالى والاستشفاع بالنّبيء صلّى الله عليه وسلّم، فبدأ ذلك بمناداته عليه الصّلاة والسّلام بكنيته وهو : أبو القاسم ذاكرا أنّ إقسَامَاتِهِ الآتية بعد بيت ندائه ضمنها مدحه والثّناء عليه .

وجواب الإقسام سيأتي بعد خمسة وخمسين بيتا وهو قوله :
(385 - الأَمَانَ الأَمَانَ إِنَّ فُؤَادِي .: البيت)

واستعطاف النّاظم ليفوز في الدّنيا والآخرة وليأمن من المحن .
أقسم أوّلا على النّبيء صلّى الله عليه وسلّم بالعلم الذي من إملاء جبريل أي بالوحي حال أنّ هذه العلوم بلا كاتب وإقسامه لأجل الأمان له .
وأقسم ثانيا بمسير الصّبا بنصره صلّى الله عليه وسلّم ، والصّبا هي الرّيح التي مهبها من مطلع الشّمس ونصره بها صلّى الله عليه وسلّم يوم الخندق.
وأقسم ثالثا عليه صلّى الله عليه وسلّم بالمعجزة التي وقعت على عليّ فإنّه لما كان الرّمد بعينيه تفل فيهما النّبيء صلّى الله عليه وسلّم فعادتا صحيحتين وأصبح نظره كنظر العقاب وأعطاه النّبيء صلّى الله عليه وسلّم الرّاية التي تسمّى العقاب في غزوة خيبر وهي سنة سبع من الهجرة .

332 كُنْتَ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا آ وَتْ مِنَ ٱلْخَطِّ نُقْطَتَيْهَا ٱلْيَاءُ
333 مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِينِيَ ٱلطَّفُّ مُصَابَيْهِمَا وَلَا كَرْبَلَاءُ
334 مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرْءُو سٌ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ ٱلرُّؤَسَاءُ
335 أَبْدَلُوا ٱلْوُدَّ وَٱلْحَفِيظَةَ فِي ٱلْقُرْبَى وَأَبْدَتْ ضِبَابَهَا ٱلنَّافِقَاءُ
336 وَقَسَتْ مِنْهُمُ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ بَكَتِ ٱلْأَرْضُ فَقْدَهُمْ وَٱلسَّمَاءُ
337 فَابْكِهِمْ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّ قَلِيلًا فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُصَابِ الْبُكَاءُ
338 كُلَّ يَوْمٍ وَكُلَّ أَرْضٍ لِكَرْبِي مِنْهُمُ كَرْبَلَا وَعَاشُورَاءُ
339 آلَ بَيْتِ ٱلنَّبِيءِ إِنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمُ ٱلتَّأْسَاءُ
340 غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ وَتَفْوِيضِيَ ٱلْأُمُورَ بَرَاءُ

---

331 إلى 345 - إقسامه عَلَى النَّبِيء صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أوّلًا بالحسن والحسين. وعبّر عَنْهُمَا بالريحانتين اقتباسًا مِن قوله صَلّى الله عليه وسلّم: هُما ريحانتاي من الدّنيا » رواه البخاري، وهاتان الريحانتان طيبهما من النّبيء صَلّى الله عليه وسَلّم أودع في فاطمة الزّهراء.
وأفاد بعْد ذلك أنّه صلّى الله عليه وسَلّم كان يضمّها لمحبته إياهما كما تضمّ الياء نقطتيها.
بيّن أنّ الرّيحانتين شهيدان ليس ينسيه في مصابهما الطَّفُّ وَلَا كربلاءُ وهُما موضعان بالعراق، وقيل موضع واحد، وشهادة الحسن رضي الله عنهُ أنّه مَات مسمومًا سنة خمسين سمه يزيد بإغراء امرأة الحسن على سمه، وأمّا شهادة الحسين رضي الله عنه فكانت سنة إحدى وستين يوم الجمعة عاشر المحرم قتله الجيش الذي أرسله يزيد ابن معاوية، وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة.
لم يراع في الرّيحانتين الحسن والحسين رضي الله عنهُما حُرمة النّبيء صلّى الله عليه وسلّم المرؤوسون ولا الرّؤساء وخانُوا العهد.
ذكر أن المكرة بالشّهيدين أبدلوا الحمية في نصر القربى من النّبيء صلّى الله عليه وسلّم أي قرابته بالبغض وعدم النصرة وخالفوا قوله تعالى (قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ) (23) الشّورى، وشبه المكرة بقرابة النّبيء صلّى الله عليه وسلّم باليرابيع في المكر، والنافقاء: احدى جحرتي اليربوع التي يخفيها
=

341 رُبَّ يَوْمٍ بِكَوْ بَلَاءٍ مُسِيءٍ خَفَّفَتْ بَعْضَ وِزْرِهِ الزَّوْرَاءُ

342 وَالأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ مِنْهُمُ الزِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ

343 آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ الْمَدْحُ فِيكُمْ وَطَابَ الرِّثَاءُ

344 أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحْتُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ

345 سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمْ سَوَّدَتْهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ

= وذكر أن قلوب هؤلاء المكرة قست على قرابته صلى الله عليه وسلم الذي بكت الأرض والسماء فقدهم.

وأمر الناظم المخاطب أن يبكي على الحسنين الشهيدين، والبكاء قليل في عظيم المصاب.

ذكر الناظم أنه ازداد كربه حتى أنه كلما مر بمكان تصور أنه الأرض التي قتل بها الحسين رضي الله عنه، وكذلك كل يوم أصبح فيه تصور أنه عاشوراء التي قتل في يومها الحسين.

نادى أهل بيت النبيء وهم قرابته من النسب وأمهات المؤمنين مخبرا بأن فؤاده ليس ينسيه مصابهم حصول الشدائد.

واستثنى حين حديثه على المصاب الحال بآل البيت أنه يفوض أمره إلى الله تعالى في هذه المصيبة، وتفويض الأمور إلى الله براءة من الشرك.

ويخفف المصاب النازل بسبب مقتل الحسين ما وقع من خلفاء بني العباس بخروجهم على بني أمية فنزعوا الخلافة منهم، والزوراء: ناحية ببغداد وشبه بعد ذلك ما نال الأعادي من القتل بالسيوف والرماح، وشبه أولئك القتلى الذين سالت دماؤهم بالزق الذي حل وكاؤه، والوكاء: ما يشد به رأس الزق.

وخاطب آل البيت بأنهم طابوا أصولا ونفوسا وأفعالا وأقوالا وصفات فطاب مدحهم، وطاب رثاؤهم، وهو تعداد المحاسن بعد الموت.

وشبه الناظم نفسه بسيدنا حسان رضي الله عنه حين يمدح آل البيت، وشبه نفسه بالخنساء حين يرثيهم وينوح عليهم، وسيدنا حسان هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي (- 54 هـ) شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينافح عنه أي يدافع.

وأما الخنساء فهي بنت عمرو بن الشريد يعدها بعضهم من الصحابيات كانت من =

الإقسام بالصحابة الكرام:

346 وَبِأَصْحَابِكَ الَّذِينَ هُمُ بَعْـ ـدَكَ فِينَا الْهُدَاةُ وَالْأَوْصِيَاءُ

347 أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلَافَةَ فِي الدِّيـ ـنِ وَكُلٌّ لِمَا تَوَلَّى إِزَاءُ

348 أَغْنِيَاءٌ نَزَاهَةً فُقَرَاءُ عُلَمَاءُ أَئِمَّةٌ أُمَرَاءُ

349 زَهِدُوا فِي الدُّنَا فَمَا عُرِفَ الْمَيْـ ـلُ إِلَيْهَا مِنْهُمْ وَلَا الرَّغْبَاءُ

350 أَرْخَصُوا فِي الْوَغَى نُفُوسَ مُلُوكٍ حَارَبُوهَا أَسْلَابُهَا إِغْلَاءُ

= أشعر النّاس وتوفيت سنة (...24 هـ).

وختم توجهه للنّبيء صلّى الله عليه وسلّم بقوله فيهم: بأنّهم سادوا النّاس بالتّقى بعد النّسب الطاهر، وأما غيرهم ممن لم يعملوا بعملهم من التقوى فانّما سودتهم البيضاء أي الفضّة والصّفراء أي الذّهب.

346 إلى 354 أقسم بأصحابه صلّى الله عليه وسلّم الذين هُم بعده هداة في النّاس وأوصياء بأمور الدّين، فجاهدوا وساسوا الأمّة ونشروا العلوم وأحسنوا بعده الخلافة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية، ثمّ تبعهم التابعون، وكلٌّ إزاء لما تولى أي قائم بما تولاه ثمّ وصف الصّحابة بأنّهم أغنياء ذوو نزاهة، فقراء إلى الله تعالى بظواهرهم وبواطنهم، علماء بما ورثوهم من علومه صلّى الله عليه وسلّم، أئمة وأمراء قائمون بحقوق الإمارة ثمّ وصف الصّحابة الكرام بأنّهم زهدوا في الدّنيا ما لها وجاهها فما عرف منهم ميل إلى الدّنيا ولا رغبة فيها.

ثمّ وصف الصّحابة بأنّهم في الوغى، أي الحرب أرخصوا نفوس ملوك حاربوهم أي فكيف بغيرهم. وأسلاب هؤلاء الملوك غالية السّعر.

وانتقل إلى وصف علمهم الجم بأنّهم كلّهم في أحكامهم ذوو اجتهاد تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، وكلّهم مصيبون أكفاء أي في أصل الصحبة، وإن كان هناك تفاوت في الزيادة لأنّ أفضل النّاس بعد الأنبياء: أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ =

351 كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ ذُو اجْتِهَادٍ وَصَوَابٍ وَكُلُّهُمْ أَكْفَاءُ
352 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ فَأَنَّى يَخْطُو إِلَيْهِمْ خَطَاءُ
353 جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ بِحَقٍّ وَعَلَى الْمَنْهَجِ الْحَنِيفِيِّ جَاؤُا
354 مَا لِمُوسَى وَلَا لِعِيسَى حَوَارِيُّونَ فِي فَضْلِهِمْ وَلَا نُقَبَاءُ
355 بِأَبِي بَكْرٍ الَّذِي صَحَّ لِلنَّاسِ بِهِ فِي حَيَاتِكَ الْإِقْتِدَاءُ

= علي ثمّ بقيّة العشرة، ثمّ أهل بدر، ثمّ أهل أحد، ثمّ أهل بيعة الرضوان وإلى ذلك أشار اللقاني بقوله:

وخيرهم من ولي الخلافة وأمرهم في الفضل كالخلافة
يليهم قوم كرام بررة عدتهم ست تمام العشرة
فأهل بدر العظيم الشأن فأهل حد فبيعة الرضوان

والصّحابة رضوان الله عليهم، رضي الله عنهم أي أمّنهم من سخطه وأحلّهم دار كرامته، ورضوا عنه: أي لم تختلج في نفوسهم حزازة من قضاء الله تعالى فكيف يصل إليهم الخطأ.

وقوله: وَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ) البيت: أي أن الصّحابة في إسلامهم جاءوا إلى النّبيء صلّى الله عليه وسلّم حال كونهم قومًا بعد قوم والسّابقون السّابقون أولئك المقرّبون فالداخلون في الإسلام في ازدياد لا في نقصان وذلك من علامات النّبوة وكلّهم سائرون على المنهج السوي وجاءوا عليه.

وأصحاب النّبيء صلى الله عليه وسلّم فضلوا أصحاب موسى وهم النّقباء كما فضلوا أصحاب عيسى وهم الحواريون.

لما أقسم بالصحابة كلّهم إجمالا خصّص العشرة المبشرين بالجنة وابتدأ بأفضل الخلق بعد الأنبياء: أبي بكر رضي الله عنه وهو عبد الله بن عثمان أبي قحافة ولقبه عتيق، وترجمته تستوعب مجلدات وإنما نقتطف منها زهرات شذية منها:

انه أفضل رجل طلعت عليه الشّمس بعد النبيئين والمرسلين

وقد صح اقتداء النّاس به في حياته صلّى الله عليه وسلّم من ذلك الاقتداء

356 وَالْمَهْدِي يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا أُرْجِفَ النَّاسُ إِنَّهُ الدَّأْدَاءُ

357 أَنْقَذَ الدِّينَ بَعْدَمَا كَانَ لِلدِّينِ عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءُ

358 أَنْفَقَ الْمَالَ فِي رِضَاكَ وَلَا مَنٌّ وَأَعْطَى جَمًّا وَلَا إِكْدَاءُ

359 وَأَبِي حَفْصٍ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الرُّقَبَاءُ

360 وَالَّذِي تَقْرُبُ الْأَبَاعِدُ فِي اللَّهِ إِلَيْهِ وَتَبْعُدُ الْقُرَبَاءُ

= به في الصّلاة حين مرض صلّى الله عليه وسلّم مرض الوفاة حتّى أنّه لمّا رآه الرّسول الكريم يصلي تبسّم يضحك، وفي هذا أفضل دليل على أفضليته العظمى ومكانه الرّفيع.

ويكفيه من المواقف الخالدات في الإسلام موقفه يوم السّقيفة إذ كان قوله الفصل المبيّن للحقّ في أمر الخلافة، وقد سكّن اختلاف النّاس في أمرها واضطرابها بعد موت النّبيء صلّى الله عليه وسلّم، وكان اضطرابهم الشّديد في الخلافة كالليلة الدّأداء الشّديدة الظلمة.

أنقذ وخلص الدّين من التّلاشي بعد ما حصل له من إشرافه على كلّ كربة فقد ثبّت النّاس يوم موته صلّى الله عليه وسلّم، ورجع النّاس إلى ما رواه في محل دفنه الكريم، وكذلك فيما يتعلّق بميراث الأنبياء، وموقفه يوم السّقيفة كما تقدّم، وكذلك في حرب أهل الرّدّة.

أنفق ماله كلّه في رضا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفيه نزل قوله تعالى: « وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿17﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿18﴾ » الليل.

وصح عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه: ليس أحد من النّاس أمنّ عليّ بنفسه وماله من أبي بكر » الحديث، وفضائله متنوعة كثيرة ولا منّ ولا انقطاع لعطائه رضي الله عنه، وتوفي رضي الله عنه سنة (13 هـ).

359 وثنى في أقسامه بعمر وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذي أعزّ الله تعالى به الإسلام فإنّه حين أسلم أظهر إسلامه لأنّه لما أسلم قال للنّبيء صلّى الله عليه وسلّم: يا رسول الله ألسنا على حق؟ فقال: بلى، فقال: ففيم الإخفاء فخرج المسلمون في صفين: عمر في أحدهما وحمزة في الآخر حتّى دخل المسلمون المسجد فكربت قريش لذلك =

361 عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ ٱلْفَصْـلُ وَمَنْ حُكْمُهُ ٱلسَّوِيُّ ٱلسَّوَاءُ

362 فَرَّ مِنْهُ ٱلشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَارُو قًا فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاهُ انْبِرَاءُ

363 وَابْنِ عَفَّانَ ذِي ٱلْأَيَادِي ٱلَّتِي طَا لَ إِلَى ٱلْمُصْطَفَى بِهَا ٱلْإِسْدَاءُ

364 حَفَرَ ٱلْبِئْرَ جَهَّزَ ٱلْجَيْشَ أَهْدَى ٱلْـهَدْيَ لَمَّا أَنْ صَدَّهُ ٱلْأَعْدَاءُ

365 وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَـمْ يَدْنُ مِنْـهُ إِلَى ٱلنَّبِيِّ فِنَاءُ

= فقد كان إسلامه فتحا، وهجرته نصرًا وإمامته رحمة، فبإسلامه انزجر الأعداء المترقبون بالإسلام.

وصفه بأشهر أوصافه رضي الله عنه بأنه تقرب الأباعد إليه لأجل رضا الله تعالى و تبعد القرباء لأجل ذلك.

ثم سمّاه باسمه فهو عمر بن الخطّاب الذي قوله الفصل وهو الحقّ وحكمه لا اعوجاج فيه فهو العدل السويّ فقد كان عمر أصلب النّاس في دين الله لمّا كان فاروقا فرّ منه الشيطان، وقد أطفأ نور النّار التي هي أصل الشيطان، وفضائله وما ورد في شأنه كثير، ودامت خلافته عشرة أعوام وستة وخمسين يومًا.

طعنه فيروز غلام المغيرة بن شعبة سنة (23 هـ).

363 إلى 367 وذكر أن الخليفة الثّالث من الخلفاء الراشدين هو ذو النورين عثمان ابن عفان الذي أسدى أيادِيَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو الذي حفر بئر رومة وقد كانت ليهودي وهي الماء العذب الوحيد في المدينة، فحين قال النبيء صلى الله عليه وسلم: من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنّة فاشتراها بعشرين ألف درهم وأوقفها على المسلمين، وحفرها.

وجهز جيش العسرة في غزوة تبوك فقد حمل على ألف بعير وسبعين فرسًا، وأتى بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستغفر له، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه اشترى الجنّة مرتين بحفر بئر رومة وتجهيز جيش =

366 فَجَزَتْهُ عَنْهَا بِبَيْعَةِ رِضْوَا نٍ يَدٌ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ
367 أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَعْمَالُ بِالتَّرْكِ حَبَّذَا الْأُدَبَاءُ
368 وَعَلِيٍّ صِنْوِ النَّبِيِّ وَمَنْ دِيـنُ فُؤَادِي وِدَادُهُ وَالْوَلَاءُ

= العسرة، وفي غزوة الحديبيّة نحر هديه بمكّة دون غيره فإنّهم نحروا هديهم بالحديبيّة لمّا صدّ الأعداء النّبيء صلّى الله عليه وسلّم عن دخول الحرم وكان ذلك سنة ستّ من الهجرة.

ولمّا أمسكوا عثمان عندهم لمّا أرسله الرّسول ليكلّم أشراف قريش في أن يرجعوا عن منعه قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى أن يطوف حين منعوا الرّسول الكريم من دخول مكّة والطواف.

وبسبب ما وقع من عثمان من امتثال أمر الرّسول في الذهاب إلى العدو مع عدم مبالاته بما يقع له من الأعداء، وبسبب تأدبه مع النّبيء صلّى الله عليه وسلّم من عدم الطواف إذ لم يطف النّبيء صلّى الله عليه وسلّم جوزي حين بيعة الرّضوان بأنّ النّبيء صلّى الله عليه وسلّم بايع عنه فضرب بيده اليمنى على اليسرى ويالها من بيعة بيده البيضاء أي: البالغة الكرم.

وتركه للطواف وإن كان تركا للعبادة وهي الطواف فإنّه تضاعف الأجر فيه دون الفعل للأدب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحبذا الأدباء.

وامتيازات عثمان كثيرة، منها: أنّه رابع أربعة في الإسلام وزوجه النّبيء عليه الصّلاة والسّلام بابنتيه، وجمع المصحف على صورته التي أجمع عليها المسلمون.

وقتل رحمه الله محصورا بداره سنة (35هـ).

368 إلى 370 وذكر ختام الخلفاء الأربعة علي بن أبي طالب، ومعنى البيت أقسم عليك بعليّ صنو النّبيء أي أخيه لأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم آخى بينه وبينه وقال له: أنت أخي في الدّنيا =

369 وَوَزِيرِ ابْنِ عَمِّهِ فِي الْمَعَالِي ... وَمِنَ الْأَهْلِ تَسْعَدُ الْوُزَرَاءُ
370 لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغِطَاءِ يَقِينًا ... بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَا عَلَيْهِ غِطَاءُ
371 وَبِبَاقِي أَصْحَابِكَ الْمُظْهِرِ التَّرْ ... تِيبَ فِينَا تَفْضِيلُهُمْ وَالْوَلَاءُ
372 طَلْحَةِ الْخَيْرِ الْمُرْتَضِيهِ رَفِيقًا ... وَاحِدًا يَوْمَ فَرَّتِ الرُّفَقَاءُ

= والآخرة» رواه الترمذي، والّذي هو اعتقاد فؤادي حبّه وموالاته ومناصرته، وذكر ذلك الناظم ردًّا على الخوارج الذين سبّوه واستنقصوه.

وهو وزير ابن عمّه أي وزيرًا للنبيء صلّى الله عليه وسلّم، وثبتت له الوزارة استفادة من أمور كثيرة تدلّ على ذلك منها: قوله صلّى الله عليه وسلّم: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيء بعدي.» ومؤاخاة النبيء له، ومنامه في فراشه لمّا عزم المشركون قتله صلّى الله عليه وسلّم فعلى هذا لا منافاة بين ما جاء هنا وبين قوله صلّى الله عليه وسلّم وأمّا وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر لما قدمناه.

وقوله (وَمِنَ الْأَهْلِ تَسْعَدُ الْوُزَرَاءُ) تذييل أفاد به ما خصّ النبيء صلّى الله عليه وسلّم به عليًّا مثل إرساله قاضيًا في اليمن.

وأشار بقوله: (لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغِطَاءِ يَقِينًا) إلى قول علي كرّم الله وجهه: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا)، ثمّ قال: بل هو الشمس في فضله وعلمه وزهده وأحقية خلافته وهو الشمس لا غطاء عليه.

وقتله اللعين عبد الرحمن بن ملجم سنة (40هـ).

371 إلى 379 - وأقسم عليه بباقي العشرة المبشرين بالجنّة على حسب مراتبهم، التي بيّنها صلّى الله عليه وسلّم تفضيلا وترتيبا.

ابتدأ بذكر طلحة رضي الله عنه وهو طلحة بن عبد الله القرشي التميمي وسمّاه النبيء صلّى الله عليه وسلّم: طلحة الخير =

373 وَحَوَارِيِّكَ الزُّبَيْرِ أَبِي الْقَرْ ... مِ الَّذِي أَنْجَبَتْ بِهِ أَسْمَاءُ

374 وَالصَّفِيَّيْنِ تَوْأَمِ الفَضْلِ سَعْدٍ ... وَسَعِيدٍ إِنْ عُدَّتِ الْأَصْفِيَاءُ

375 وَابْنِ عَوْفٍ مَنْ هَوَّنَتْ نَفْسُهُ الدُّنْـيَا بِبَذْلٍ يُمِدُّهُ إِثْرَاءُ

= وطلحة الفياض، وطلحة الجود، وعطاياه كالسّحاب المرسلة وتصدق في يوم بمائة ألف، ولم يجد ثوبا يذهب به إلى المسجد وأشار النّاظم إلى موقفه بأحُد، فإنه بقي مع النبيء صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين فرّ الكثير ووقاهُ وقد وجبت له الجنة قتل سنة (36هـ) يوم الجمل وهو أحد الستة من أصحاب الشورى.

وثنى بذكر الزبير رضي الله عنهُ، وهو الزبير بن العوام القرشي الأسدي ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية، وأحد الستة من أصحاب الشورى وهو أوّل من سلّ سيفا في سبيل الله وفتح مصر مع عمرو بن العاص، وقتل الزبير سنة (36هـ).

وأشار النّاظم إلى أنه والد القرم أي السّيد الكريم عبد الله بن الزبير الذي ولدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع، وقتله جيش الحجاج وهو محصور بمكة عند الكعبة سنة (73هـ).

والصفيين تثنية صفي وهو الحبيب المصافي والتوءمان الولدان في بطن واحد، وقصد النّاظم أنّ الفضْل توْأمٌ بينهُمَا وهما: سَعْدٌ وَسَعِيدٌ.

أمّا سعد فهو سعد بن أبي وقّاص القرشي الزّهري أبو إسحاق أحد الثمانية السّابقين للإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أوّل من رمى بسهم في الإسلام وشهد المشاهد كلّها، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وقد اعتزل الفتنة وتوفي بالعقيق سنة (55هـ) ودفن بالبقيع وهو آخر المهاجرين موتا.

وأمّا سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو ابن عم عمر، وزوج أخته، والسبب في إسلامه،

=

376 وَٱلْمُكَنَّى أَبَا عُبَيْدَةَ إِذْ يَعْزِي إِلَيْهِ ٱلْأَمَانَةَ ٱلْأُمَنَاءُ

377 وَبِعَمَّيْكَ نَيِّرَيْ فَلَكِ ٱلْمَجْدِ وَكُلٌّ أَتَاهُ مِنْكَ إِتَاءُ

= توفي سنة (55هـ) ودفن بالبقيع، وهُمَا إن عدت الأصفياء كانا من أكابرهم.

وأقسم على النبيء صلى الله عليه وسلم بابن عَوْفٍ رضي الله عنه. وهو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، والعشرة المشهود لهم بالجنة. شهد المشاهد كلها وثبت مع النبيء صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وصلى النبيء صلى الله عليه وسلم معه الركعة الأخيرة من صلاة الصبح، وكان كثير المال محظوظا في التجارة، وكان كثير الإنفاق، فقد تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله، وكان أهل المدينة عيالا عليه، ثلث يقرضهم، وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم توفي سنة (32هـ) في خلافة عثمان.

وأقسم بالمكنى أبا عبيدة، وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد المشاهد كلها وثبت مع النبيء صلى الله عليه وسلم يوم أحد، ونزع بأسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي النبيء صلى الله عليه وسلم، وولاه أبو بكر على الشام وعمر وهو أمين هذه الأمة.

توفي سنة (18هـ) شهيدا بالطاعون في طاعون عَمَوَاس.

وأقسم عليه بعميه أي أخوي أبيه صلى الله عليه وسلم لأبيه وهما: حمزة والعباس ابنا عبد المطلب.

وعبر عنهما الناظم بأنهما: نيرا المجد، وكل منهما أتاه من النبيء صلى الله عليه وسلم إتاءٌ بوزن كتاب، أي أتاهما منه ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب.

واستشهد حمزة رضي الله عنه بأحد سنة (3هـ) وهو أسد الله وكان شجاعا لا يطاق وأسلم قبل عمر بثلاثة أيام.

وتوفي العباس سنة (32هـ) بالمدينة وقبره مشهور بالبقيع، =

378 وَبِأُمِّ ٱلسِّبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِيٍّ وَبَنِيهَا وَمَنْ حَوَتْهُ ٱلْعَبَاءُ

379 وَبِأَزْوَاجِكَ ٱللَّوَاتِي تَشَرَّفْنَ بِأَنْ صَانَهُنَّ مِنْكَ بِنَاءُ

= وصح حديث «العباس مني وأنا منه» وبارك في ذريته فقد وُلّوا الخلافة طوال مآت السنين وقد استسقى به عمر الغيث.

وأقسم بأم السبطين وهما الحسن والحسين، وهي فاطمة رضي الله عنها وعنهما، وهي أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وزوج علي كرم الله وجهه، زوجها له النبيء صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة، وكان سنها حين تزوجها علي (15 سنة) وأشهرا، قال ابن عبد البر هي وأم كلثوم أفضل بناته، وكانت فاطمة أحب بناته إليه، وعنه صلى الله عليه وسلم أنها سيدة نساء أهل الجنة، وتوفيت بعده في رمضان سنة احدى عشرة.

وأقسم الناظم ببنيها وهم الحسن والحسين، ومُحَسِّن، وقد مات صغيرا، وأم كلثوم وزينب وأولادهم، ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب إلا منها من جهة السبطين. وقوله: «وَمَنْ حَوَتْهُ الْعَبَاءُ» أي ما اشتمل عليه الكساء وهم علي وفاطمة وأبناهما.

وأقسم عليه أخيرًا بأزواجه رضي الله عنهن جميعًا اللواتي تشرفن ببناء النبيء صلى الله عليه وسلم بهن وصانهن ذلك، وهن احدى عشرة متفق عليهن، هن: ست قرشيات، وأربع عربيات، وواحدة إسرائيلية.

أولهن: خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وتوفيت قبل الهجرة لثلاث سنين وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية ثم سودة بنت زمعة توفيت سنة (54) أربع وخمسين.

وعائشة بنت أبي بكر الصديق وتوفيت سنة (57) سبع وخمسين وكانت فقيهة حافظة فصيحة، وهي وخديجة أفضل أزواجه.

وحفصة بنت عمر بن الخطاب وتوفيت سنة (45) خمس وأربعين =

طلب الأمان للحصول على النجاة :

380 ٱلْأَمَانَ ٱلْأَمَانَ إِنَّ فُؤَادِي   مِنْ ذُنُوبٍ أَتَيْتُهُنَّ هَوَاءُ
381 قَدْ تَمَسَّكْتُ مِنْ وِدَادِكَ بِالْحَبْلِ الَّذِي اسْتَمْسَكَتْ بِهِ الشُّفَعَاءُ
382 وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَمَسَّنِيَ السُّوءُ   بِحَالٍ وَلِي إِلَيْكَ الْتِجَاءُ
383 قَدْ رَجَوْنَاكَ لِلْأُمُورِ الَّتِي أَبْرَدُهَا فِي فُؤَادِنَا رَمْضَاءُ
384 وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فَقْرٍ   حَمَلَتْنَا إِلَى الْغِنَى أَنْضَاءُ

= وأم سلمة هند بنت أبي أمية وماتت سنة (59هـ).
وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب وماتت سنة (44هـ).
وزينب بنت جحش وهي أول من مات من أزواجه بعده سنة (20هـ).
وزينب بنت خزيمة الهلالية تزوجها سنة (3هـ) ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر.
وميمونة بنت الحارث الهلالية وماتت سنة (51هـ).
وجويرية بنت الحارث وماتت سنة (50هـ).
وصفية بنت حيي وهي من سبي خيبر وماتت سنة (50هـ).

380 إلى 420 - هذا مبدأ جواب الأقسام السابقة التي ابتدأها بقوله:
«يا أبا القاسم الذي ضمن أقسا ـمي عليه مدح له وثناء»
إلى ما قبل البيت هذا:
«وبأزواجك اللواتي تشرفن بأن صانهن منك بناء»
وقوله: الأمان الأمان بالنصب إما مفعول به، وإما مفعول مطلق أي أنلنا الأمان أو أمنا الأمان من العقاب، والمعنى: أقسم عليك بمن ذكرت في الأبيات السالفة أن تنيلني الأمان من ذنوب لأن قوله: «من ذنوب أتيتها هواء» أي فارغ، تعليل.
وبعد طلب الأمان ذكر أنه تمسك بالوداد أي بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم مستمسكا بالحبل الذي تمسك به الشفعاء من الأنبياء والأولياء والعلماء، والصالحين الذين لم تحصل لهم مرتبة الشفاعة إلا بواسطة محبتهم لك، فأنا متمسك بما تمسكوا به لتحصل لي شفاعتك.
=

385 وَٱنْطَوَتْ فِي ٱلصُّدُورِ حَاجَاتُ نَفْسٍ مَا لَهَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطِوَاءُ
386 فَأَغِثْنَا يَا مَنْ هُوَ ٱلْغَوْثُ وَٱلْغَيْثُ إِذَا أَجْهَدَ ٱلْوَرَى ٱللَّأْوَاءُ
387 وَٱلْجَوَادُ ٱلَّذِي بِهِ تُفْرَجُ ٱلْغُمَّةُ عَنَّا وَتُكْشَفُ ٱلْحَوْبَاءُ
388 يَا رَحِيمًا بِٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا ذَهِلَتْ عَنْ أَبْنَائِهَا ٱلرُّحَمَاءُ
389 يَا شَفِيعًا فِي ٱلْمُذْنِبِينَ إِذَا أَشْفَقَ مِنْ خَوْفِ ذَنْبِهِ ٱلْبُرَءَاءُ
390 جُدْ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ ٱلْعَاصِي وَلَكِنْ تَنَكُّرِي اسْتِحْيَاءُ
391 وَتَدَارَكْهُ بِٱلْعِنَايَةِ مَا دَامَ لَهُ بِٱلذِّمَامِ مِنْكَ ذَمَاءُ

= جرت عادة كرم الله تعالى أن من تعلق بمحبة النبيء صلى الله عليه وسلم لا يمسه السوء فلذلك قال الناظم: « وأبى الله أن يمسني السوء » البيت إن معشر المحبين وخدام النبيء صلى الله عليه وسلم يدعونه ويأملون فيه للأمور العظيمة التي أضعفها في القلوب رمضاء: أي نار تتقد فأنت الرجاء في الشفاعة.

ثم قال الناظم: « وأتينا إليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم مهازيل فقراء من الأعمال الصالحة وقد حملتنا إلى حضرتك التي فيها الغنى ركائب أجهدها طول السير اغتناما للوقوف بساحات الكرم أي: بقلوبنا أو إلى قبرك المكرم.

واستترت في الصدور حاجات نفس أملت حصولها من جنابك وليس لها عن ندى يديك استغناء.

طلب الناظم منه صلى الله عليه وسلم اسعافه بمراده قائلا: « يا من هو المغيث للمكروبين والغيث والمطر للقاحطين إذا ضيق على الخلق الجدب.

وهو الجواد الذي تفرج به الغمة عن الأمة الإسلامية والشدة هذا البيت وهو « يا رحيما ... الخ » يتضمن غاية الاستعطاف طلبا للشفاعة في اليوم الذي تكون له صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى وناداه صلى الله عليه وسلم بقوله: « يا شفيعا في المذنبين في الوقت

=

392 أَخَّرَتْهُ ٱلْأَعْمَالُ وَٱلْمَالُ عَمَّا قَدَّمَ ٱلصَّالِحُونَ وَٱلْأَغْنِيَاءُ
393 كُلَّ يَوْمٍ ذُنُوبُهُ صَاعِدَاتٌ وَعَلَيْهَا أَنْفَاسُهُ صُعَدَاءُ
394 أَلِفَ ٱلْبِطْنَةَ ٱلْمُبَطِّئَةَ ٱلسَّيْـ ـرِ بِدَارٍ بِهَا ٱلْبِطَانُ بِطَاءُ
395 فَبَكَى ذَنْبَهُ بِقَسْوَةِ قَلْبٍ نَهَتِ ٱلدَّمْعَ فَٱلْبُكَاءُ مُكَاءُ
396 وَغَدَا يَعْتِبُ ٱلْقَضَاءَ وَلَا عُذْ رَ لِعَاصٍ فِيمَا يَسُوقُ ٱلْقَضَاءُ

= الشّديد الّذي فيه البرءاءُ ، يشفقُون من مُناقشة الحساب لأنّ الخوف يعمّ حتّى من لا ذنب له .

وسأل النّاظم الجود للعاصي بالشّفاعة من كامل الرّحمة منه صلّى الله عليه وسلّم ، ثمّ وضح أنّه العاصي ، وإنّما تنكّر ولم يصرح باسمه استحياء .

تداركه أي العاصي بحقّ حرمتك مَا دَام له تعلق بذلك الجناب العظيم وأخبر عن العاصي المكنّى به بأنّه أخرته الأعمال السيئة المرتكبة منه والمال الذي لم ينفقه في وجوه الخير عمّا قدمه الصّالحون من الأعمال الصّالحات والأغنياء من الإنفاق في وجوه الخيرات .

وبأنّه في كُلّ يَوْم وليلة معاصيه مرتفعات مع ملائكة اللّيل والنّهار وأنفاسه صعداء أي متواترة ممتدة من أجل ذنوبه وبأنّه ولع بالبطنة وهي ملء بطنه من الطّعام والشّراب وذلك من الأسْبَاب المبطئة للسّير المعنوي والقلبي لأنّ البطن إذا امتلأ كسلت وفسد العقل في هذه الدّار دار الدّنيا الّتي فيهَا البطان - جمع بطين - بطاء أي غير سريعين متأخرين عن الفائزين .

وبأنّه بكى ذنبه مع يُبس قلبه وصلابته فانقلب البكاء بسبب تلك القساوة القلبية مكاء أي كالصّفير .

وبأنّ ذلك العاصي صَار يعتب القضاء ويلومه ولا عذر لعاص يحتج بالقضاء لسقوط الإثم عليه وعدم مؤاخذته لأنّ الله سُبْحانه وتعالى أجرى العادة الإلهية على الأسباب والمسبّبات ، وإن =

397 أَوْ ثَقَتْهُ مِنَ ٱلذُّنُوبِ دُيُونٌ شَدَّدَتْ فِي اقْتِضَائِهَا ٱلْغُرَمَاءُ

398 مَا لَهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ الْمُوثَقِ إِمَّا تَوَسُّلٌ أَوْ دُعَاءُ

399 رَاجِيًا أَنْ تَعُودَ أَعْمَالُهُ ٱلسُّوءُ بِغُفْرَانِ ٱللهِ وَهْيَ هَبَاءُ

400 أَوْ تُرَى سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ فَيُقَالُ اسْتَحَالَتِ ٱلصَّهْبَاءُ

401 كُلُّ أَمْرٍ تُعْنَى بِهِ تُقْلَبُ الأَعْيَانُ فِيهِ وَتَعْجَبُ الْبُصَرَاءُ

402 رُبَّ عَيْنٍ تَفَلْتَ فِي مَائِهَا الْمِلْحِ فَأَضْحَى وَهُوَ الْفُرَاتُ الرَّوَاءُ

= كانَ كُلّ شيء بقضاء الله تَعَالَى فَلاَ بُدَّ مِن رعَايةِ المقامين.

وقال الإمام الغزالي : إنّ مِن جملة القضاء الدّعاء لردّ البلاء .

وهذا العاصي أوثقته ديون بسبب ذنوب متراكمة عليه فحبسته في الدّنيا كما أنّ ديون الآخرة بسبب التفريط في حقوق الله أثقلته وأوثقته .

فماله حيلة بسبب وضعه من كثرة ذنوبه وديونه في التّخلّص إلاّ مثل حيلة الموثق أي الأسير، إمّا التّوسّل إلى الله تعالى أو الدّعاء إليه .

وحال العاصي أنّه راج لله تعالى ومؤمل منه أن تصير أعمال السّوء أي السّيئة بسبب غفران الله تعالى هباء كالغبار وهو راج كذلك أن تصير سيآته حسنات، وبذلك يقال استحالت أي الخمر النجسة المحرمة خلاّ وهذا من باب الاستعارة أي ما كان من الأعمال سيّئا أصبح حسنات، يا حبيب الله كلّ ما تهتم به يتحوّل من صفة إلى أخرى يتعجّب منها ذوو البصائر والبصر، مثل العرجون الّذي أعطاه لعكاشة يوم بدر فأصبح سيفا.

ثمّ شبّه إنقاذ النّبيء صلّى الله عليه وسلّم بسبب دعائه وصرف العناية إليه بالماء الملح المنقلب عذبا فراتا .

403 آهِ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِي ... أَلِفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاءُ
404 أَرْتَجِي التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْبِ نِفَاقٌ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءُ
405 وَمَتَى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجِسْمِ اعْوِجَاجٌ مِنْ كِبْرَتِي وَانْحِنَاءُ
406 كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَمَا اسْتَيْقَظْتُ إِلَّا وَلِمَّتِي شَمْطَاءُ
407 وَتَمَادَيْتُ أَقْتَفِي أَثَرَ الْقَوْ ... مِ فَطَالَتْ مَسَافَةٌ وَاقْتِفَاءُ
408 فَوَرَا السَّائِلِينَ وَهْوَ أَمَامِي ... سُبُلٌ وَعْرَةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءُ
409 حَمِدَ الْمُدْلِجُونَ غِبَّ سُرَاهُمْ ... وَكَفَى مَنْ تَخَلَّفَ الْإِبْطَاءُ

وتوجع الناظم من حاله التي جرت له الذنوب قائلا «آه» إن كانت تغني هذه الكلمة في التوبة.

وأنا آمل بحسن ظني توبة نصوحا والحال أن في القلب نفاقا وفي اللسان رياء ومع ذلك لا أترك التوبة رجاء قبولها.

وكذلك حالي تجعلني أتعجب من أني أتوب لأن جسمي في اعوجاج وانحناء من كبر سني لأن المرء على ما جبل عليه فذكر أنه إنما أخر التوبة من أجل أنه كما قال: كنت في نومة الشباب وما استيقظت إلا في الحال التي كانت فيها لحيتي شمطاء وكذلك شعر رأسي أي اختلاط سواد الشعر ببياضه.

وحين استيقظت من غرور الشباب طلبت أن أتبع اثر القوم الصالحين فطالت المسافة بيني وبينهم.

وحين صرت خلفهم أصبحت المسافة التي بيني وبينهم عسرة السلوك وأرضا واسعة.

وبسبب اختلاف الحالين بيني وبين الصالحين حمد الصالحون إدلاجهم أي سيرهم ليلا كني بذلك عن سبقهم في الطاعات.

ويكفي المتخلف عنهم التأخر المفوت لإدراك منازلهم.

410 رِحْلَةٌ لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدُنِي الصَّيْـ ـفُ إِذَا مَا نَوَيْتُهَا وَالشِّتَاءُ
411 يَتَّقِي حُرُّ وَجْهِيَ الْحَرَّ وَالْبَرْ دَ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَظَى الْإِتِّقَاءُ
412 ضِقْتُ ذَرْعًا مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي قَمْطَرِيرٌ وَلَيْلَتِي دَرْعَاءُ
413 وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ فَالْبِشْـ ـرُ لِوَجْهِي أَنَّى انْتَحَى تِلْقَاءُ
414 فَأَلَحَّ الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ بِالْقَلْـ ـبِ وَلِلْخَوْفِ وَالرَّجَا إِحْفَاءُ
415 صَاحِ لَا تَأْسَ إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الطَّا عَةِ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهَا الْأَقْوِيَاءُ
416 إِنَّ لِلَّهِ رَحْمَةً وَأَحَقُّ النَّـ ـاسِ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضُّعَفَاءُ

وإن رحلة المتأخر عن الصّالحين من شهواته إلى اللّحاق بهم يضعفه عنها الصيّف والشّتاء فإذا كان الصّيف ينوي تأخيرها إلى الشّتاء وكذلك العكس.

ثمّ يقول: وممّا أوجب إبطائي عن رحلة اللّحاق بالصّالحين أنّ وجهي يتّقي حرّ الصّيف وبرد الشّتاء، والحال أنّه قد صعب عليّ اتقاء حرّ جهنّم لأنّي متلبّس بما يؤدي إلى جهنّم إلّا أن يتغمدني الله برحمته.

ولأجل حالي ضقت ذرعًا ممّا جنيت فحياتي مكدرة لذ يومي شديد وليلتي درعاءُ مظلمة.

ولكن خفف أمرّ هذه الضّائقة تذكّرُ رحمة الله بسبب ذلك فالفرح أمامَ وجهي أين توجّهت.

وبسبب تذكري رحمة الله مع مَا جنيت أقام الرّجاء في رحمة الله والخوف من عقاب الله تعالى منازعة في القلب لتضادهما.

وجرد من نفسه صَاحبًا له والمراد يا نفسي لا تيأس من رحمة الله وإن ضعفت عن الطّاعة وانفردت بها الأقوياء

وعلل رجاء نفسه في الرّحمة بأنّ لِلّهِ الغفور الرّحيم رحمة وأحق النّاس بها الضّعفاء.

417 فَابْقَ فِي ٱلْعُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ ٱلذَّوْ دِ فَفِي ٱلْعَوْدِ تَسْبِقُ ٱلْعَرْجَاءُ
418 لَا تَقُلْ حَاسِدًا لِغَيْرِكَ هَـــذَا أَأَثْمَرَتْ نَخْلُهُ وَ نَخْلِي عَفَاءُ
419 وَأْتِ بِالْمُسْتَطَاعِ مِنْ عَمَلِ ٱلْبِـــرِّ فَقَدْ يُسْقِطُ الثِّمَارَ الْأَتَاءُ
420 وَبِحُبِّ ٱلنَّبِيءِ فَابْغِ رِضَى اللَّـ ـهِ فَفِي حُبِّهِ الرِّضَا وَالْحِبَاءُ

الضراعة وإظهار التحسر

421 يَا نَبِيءَ الْهُدَى اسْتِغَاثَةَ مَلْهُو فٍ أَضَرَّتْ بِحَالِهِ الْحَوْبَاءُ
422 يَدَّعِي الْحُبَّ وَهْوَ يَأْمُرُ بِالسُّو ءِ وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّغْبَاءُ

وأبرز رحمة الله بالضّعفاء بصورة لطيفة وهي أنّ العرجاء من الغنم حين يكون الرّجوع تسبق وكذلك الضّعفاء بسبب رحمة الله.
ومن تعلّق برحمة الله لا يحسد غيره فيقول هذا الطّائع أثمرت نخله ونخلي لا ثمرة لها.
وليبعد نفسه عن الغرور الذي يكون عند من يرجو ولا يعمل عملا صالحًا خاطب نفسه بالإتيان بالمستطاع من الطّاعة لأنّه لا ينظر إلى نفسه قويّة والفوز بسبب ذلك وذلك ممّا يضعف ثواب الطّائع أو يحبط عمله إذا كان قويّا.
وخاطب نفسه بأن تطلب رضا الله تعالى والعطاء منه بسبب حبّ النّبيء صلّى الله عليه وسلّم.
421- إلى 427 ثمّ تضرّع إلى الله مستغيثا بالنّبيء صلّى الله عليه وسلّم وهو مضطرّ أشدّ الاضطرار بسبب ضعف همّته.
ذكر النّاظم انّه يدّعي الحب لله ولرسوله والحال أنّه يأمر بالإثم.
وتمنّى أن يصدق في دعواه محبّتهما مستفهما بقوله: من يتكفل لي أن تصدق عزيمتي؟

423 أَيُّ حُبٍّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرْفِي ... لِلْكَرَى وَاصِلٌ وَطَيْفُكَ رَاءُ

424 لَيْتَ شِعْرِي أَذَاكَ مِنْ عُظْمِ ذَنْبٍ ... أَمْ حُظُوظُ الْمُتَيَّمِينَ حُظَاءُ

425 إِنْ يَكُنْ عُظْمُ زَلَّتِي حُجْبَ رُؤْيَا ... كَ فَقَدْ عَزَّ دَاءَ قَلْبِي الدَّوَاءُ

426 كَيْفَ يَصْدَا بِالذَّنْبِ قَلْبُ مُحِبٍّ ... وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلُ جِلَاءُ

427 هَذِهِ عِلَّتِي وَأَنْتَ طَبِيبِي ... لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءُ

باعث مدحه :

428 وَمِنَ الْفَوْزِ أَنْ أَبُثَّكَ شَكْوَى ... هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءُ

429 ضَمَّنَتْهَا مَدَائِحٌ مُسْتَطَابٌ ... فِيكَ مِنْهَا الْمَدِيحُ وَالْإِصْغَاءُ

ثُمّ إن ادّعاء الحب مع الغفلة عن طاعة المحبوب لا يصحّ لأنّ طرفي واصل للكرى - أي النوم - وطيفك أي خيالك راء أي محتجب وفي هذا البيت تورية وهي الإشارة إلى احتجاب الراء عن واصل بن عطاء لأنّه كان ألثغ اللّسان.

أي ليتني علمت أذاك أي عدم حضور خيال صورته بقلبي من أجل عظم ذنبي، أم حظوظ المتيّمين - أي المحبّين - متفاوتة ؟

ان يكن الذي حجب رؤيالك في المنام عظيم ذنبي فقد قلّ بل عدم الدّواء الذي يكون به الشّفاء.

بعد ذكر التّردّد في وجود المحبّة لمزيد الخوف ذكر أن رجاءه بسبب تعلّقه بالنبيء صلّى الله عليه وسلّم نفى أن يصدأ بسبب الذّنب قلب المحبّ والحال أنّ ذكره - أي ذلك المحبوب - جلاء لقلبه.

أبدى أنّه ظفر بسبب حجب الرّؤية وهي عظم الذّنب فنادى بأنّ علته هذه وهي حجب الرّؤية والحال أنّ طبيبه أكرم الخلق وهو لا تخفى عليه العلّة فرغب منه أن يعجل له بالشّفاء.

428 إلى 443 - ولما أن كان طبيبه خير الخليقة صلّى الله عليه وسلّم ورفع إليه قضيته قال :

لان من الفوز والنجاة أن أبثك الشّكوى وهي شكوى إليك وطلب من كرمك.

=

430 قَلَّمَا حَاوَلْتُ مَدِيحَكَ إِلَّا ... سَاعَدَتْهَا مِيمٌ وَدَالٌ وَحَاءُ

431 حَقَّ لِي فِيكَ أَنْ أُسَاجِلَ قَوْمًا ... سَلِمَتْ مِنْهُمُ لِدَلْوِي الدِّلَاءُ

432 إِنَّ لِي غَيْرَةً وَقَدْ زَاحَمَتْنِي ... فِي مَعَانِي مَدِيحِكَ الشُّعَرَاءُ

433 وَلِقَلْبِي فِيكَ الْغُلُوُّ وَأَنَّى ... لِلِسَانِي فِي مَدْحِكَ الْغُلَوَاءُ

434 فَأَثِبْ خَاطِرًا يَلَذُّ لَهُ مَدْ ... حُكَ عِلْمًا بِأَنَّهُ اللَّأْلَاءُ

435 حَاكَ مِنْ صَنْعَةِ الْقَرِيضِ بُرُودًا ... لَكَ لَمْ تَحْكِ وَشْيَهَا صَنْعَاءُ

= أن أنجو ويحصل لي الشفاء وهي إدخال على الباعث لمدحه.

وهذه الشكوى المتضمنة الاقتضاء أي الطلب، ضُمِّنَتْ مدائح مستطاب مديحها والإصغاء من سامعها لأن الأوصاف النبوية الكريمة زينتها.

وقلّ أن يستصعب عليّ مديحك إذا أردته فكلّما توجهت بشكواي إلّا تهيأت لي الأسباب.

وإذا ساعده المدح له صلى الله عليه وسلم حُقّ له أي ثبت له في مدحه أن يساجل أي يفاخر الشّعراء المادحين له عليه الصّلاة والسلام، وحين يفاخرهم قال: تسلم دلاؤهم لدلوي أي أفوز عليهم.

لفرط محبّة النّاظم ذكر أن له حميّة أي غيرة تدعوه لأن يحب أن لا يسبقه أحد غيره في صوغ المديح النّبوي.

ثمّ أضاف علّة أخرى علاوة على مساعدة المدح النبوي له وهي استحكام محبّة قلبه له صلى الله عليه وسلم وهذه المحبّة لولاها لما تميّز على المادحين غيره وهي التي يلذّ لها مدحك لعلمها أنّ مدحه صلى الله عليه وسلم هو الفرح التّام بسبب صدق محبّتي فيك يا رسول الله صلّى الله عليك وسلّم أثب خاطري أي قريحتي الشّعرية التي يلذّ لها مدحك لعلمها بأنّه اللألاء أي الفرح التّام أو المضيء المشرق.

ثمّ شبّه شعره بالبرد - أي الثياب الرفيعة. فقال: حاكت قريحتي

=

436 أَعْجَزَ الدُّرَّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيهِ الْيَدَانِ الصَّنَاعُ وَالْخَرْقَاءُ
437 فَارْضَهُ أَفْصَحَ امْرِئٍ نَطَقَ الضَّا دَ فَقَامَتْ تَغَارُ مِنْهَا الظَّاءُ
438 أَبِذِكْرِ الآيَاتِ أُوفِيكَ مَدْحًا أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ مِنْهَا الْوَفَاءُ
439 أَمْ أُمَارِي بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيٍّ سَاءَ مَا ظَنَّهُ بِيَ الْأَغْبِيَاءُ
440 وَلَكَ الْأُمَّةُ الَّتِي غَبَطَتْهَا بِكَ لَمَّا أَتَيْتَهَا الْأَنْبِيَاءُ
441 لَمْ نَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلَالَ وَفِينَا وَارِثُو نُورِ هَدْيِكَ الْعُلَمَاءُ

- أي نسجت من الشعر برود الم تصنعها صنعاء وهي بلدة باليمن مشهورة بجودة النسج.

ومدح قصيدته الهمزية هذه ذاكرا أنّ نظمها فاق الدرّ النفيس فاستوى في العجز عن الإتيان بمثلها القريحتان الماهرة والغبية ثمّ قال: أقبل هذا النظم يا أفصح من نطق بالضّاد، أي يا أفصح العرب، وهم من فصاحتهم نطقوا بالضّاد دون غيرهم من الأمم.

استفهم بقوله: أأوفيك مدحًا بذكر الآيات؟ وهي الخصائص والمعجزات والاستفهام إنكاري، أي لا قدرة لمخلوق على أن يوفيك مدحك لا أقصد بمدحي أن أجادل قوم النبي صلى الله عليه وسلم المادحين له، وساء ظنّ الأغبياء الذين يظنون ذلك بي وكيف يتصور منّي أن أماري المادحين وأماري أمتك الوسطى الفضلى التي غبطتها أي تمنت الأنبياء أن يكونوا مثلها.

وممّا انفردت به الأمّة الاسلاميّة الصّادقة أنها لا تخشى الضّلال لأنه صلى الله عليه وسلم تركها على المحجة البيضاء والحال أنّها فيها العلماء الذين هم أهل السنة والجماعة فالنّاس مع وجودهم آمنون.

وبسبب أن في هذه الأمّة وارثي هديك انقضت آي الأنبياء وآياتك أي معجزاتك باقية فهي معجزات قبل وجودك ومعك وبعد وفاتك فمعجزاته متواصلة.

442 فَانْقَضَتْ آيُ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَآيَا ... تُكَ فِي ٱلنَّاسِ مَا لَهُنَّ انْقِضَاءُ
443 وَٱلْكَرَامَاتُ مِنْهُمُ مُعْجِزَاتٌ ... حَازَهَا مِنْ نَوَالِكَ ٱلْأَوْلِيَاءُ

العجز عن مدحه صلى الله عليه وسلم

444 إِنَّ مِنْ مُعْجِزَاتِكَ العَجْزَ عَنْ وَصْفِكَ إِذْ لَا يَحُدُّهُ ٱلْإِحْصَاءُ
445 كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ ٱلْكَلَامُ سَجَايَا ... كَ وَهَلْ تَنْزَحُ ٱلْبِحَارَ الرِّكَاءُ
446 لَيْسَ مِنْ غَايَةٍ لِوَصْفِكَ أَبْغِيـ ... ـهَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةٌ وَانْتِهَاءُ
447 إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَا ... تُكَ فِيمَا نَعُدُّهُ ٱلْآنَاءُ
448 لَمْ أُطِلْ فِي تَعْدَادِ مَدْحِكَ نُطْقِي ... وَمُرَادِي بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءُ
449 غَيْرَ أَنِّي ظَمْآنُ وَجْدٍ وَمَالِي ... بِقَلِيلٍ مِنَ الْوُرُودِ ارْتِوَاءُ

والكرامات الواقعة من خواص هذه الأمة كالمعجزات حازها هؤلاء من عطائك والخواص هم: الأولياء نفعنا الله بهم جميعا.

444 و445 -من المعجزات النبوية العجز عن الإحاطة بكل فرد من أوصافك التي اختصك الله بها لأنها لا تحد ولا تحصى.

كيف يمكن للواصف أن يستوعب ما فيك من الأخلاق الكريمة والفضائل والأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف بالبحار وشبه ألفاظ المادحين بالركاء وما تغرفه الركاء من البحار لا يذكر.

وضح الناظم المعنى المتقدم بزيادة في الإيضاح فأفاد أن أوصافه صلى الله عليه وسلم ليس لها غاية تنتهي إليها حتى يبغيها مادح بخلاف القول فله غاية وانتهاء.

وزاد ذلك بيانا بأن فضل النبيء صلى الله عليه وسلم يشبه الزمان وأجزاء الزمان لا انتهاء لها فكذلك جزئيات فضائله لا انتهاء لها فلا يظن الظان أن الإطالة في هذه القصيدة الهمزية مرادي من ذلك استقصاء أوصافه لأنها كما تقدم لا غاية لها.

وإنما أطلت لا لقصد الحصر كما تقدم وإنما أنا ظمآن لإسماع تلك الأوصاف الكريمة وليس لي ارتواء بالقليل.

التسليم على خير البرية :

450 فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَتْرَى مِنَ ٱللَّهِ وَتَبْقَى بِهِ لَكَ ٱلْبَأْوَاءُ

451 وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْكَ فَمَا غَيْرُكَ مِنْهُ لَكَ ٱلسَّلَامُ كِفَاءُ

452 وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ لِتَحْيَا بِذِكْرِكَ ٱلْأَمْلَاءُ

453 وَصَلَاةٌ كَالْمِسْكِ تَحْمِلُهُ مِنِّي شَمَالٌ إِلَيْكَ أَوْ نَكْبَاءُ

454 وَسَلَامٌ عَلَى ضَرِيحِكَ تَخْضَلُّ بِهِ مِنْهُ تُرْبَةٌ وَعْسَاءُ

455 وَثَنَاءٌ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَايَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ ثَرَاءُ

456 مَا أَقَامَ ٱلصَّلَاةَ مَنْ عَبَدَ ٱللَّهَ وَقَامَتْ بِرَبِّهَا ٱلْأَشْيَاءُ

---

450 إلى 456 - ثمّ شرع حين ختم هذه القصيدة المباركة في الصّلاة والسّلام فقال :
سلام عظيم عليك من الله يتكرّر ويتبع بعضه بعضًا ويبقى لك به البأواء أي: الفخر، وثنى بسلامه صلّى الله عليه وسلّم على نفسه، وهذا السّلام هو المكافئ لحضرتك، أمّا سلام من دونك عليك فلا يكافئك ولا يساويك .
ثمّ قال : عليك من جميع المخلوقات التي خلقها سبحانه وتعالى، وأتى بهذا العموم لتحيا الأملاء - بفتح الهمزة - جمع ملأ، وهو الجماعة.
وأتى بعد السّلام بالصّلاة على النبيء صلّى الله عليه وسلّم ، والصّلاة من الله الرّحمة المقرونة بالتّعظيم وهذه الصّلاة من الله ومنه صلّى الله عليه وسلّم، ومن جميع المخلوقات وهي كالمسك في شذاها تحمله من النّاظم الرّيح الشماليّة إلى الرّسول الكريم، والرّيح النكباء وهي ريح الصّبا.
ثم سلّم على قبره المكرّم الذي ضمّ أعضاءه الشّريفة بسلام تخضل أي: تبتل به من القبر المكرّم تربة وعساء أي: ليّنة .
ثمّ ذكر أنّ ثناءه على النّبيء صلّى الله عليه وسلّم في هذه القصيدة بين يدي نجواه أي سؤاله بلوغ مقصوده من كلّ ما موله قائم مقام الصدقة لأجل النجوى لأنّه لا ثراء له .
وختم بقوله، أدام الله الصّلاة والسّلام عليه صلّى الله عليه وسلّم أبدا ما صلّى لله سبحانه من عبد ودامت الأشياء أي الموجودات الدنيوية والأخروية وهي لا انتهاء لها .